الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف –المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ:
رقم التسجيل:

الانحرافات الأخلاقية في المغرب الأوسط (6هـ-10هـ/12م-16م) قراءة في الأسباب وجهود الإصلاح

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ

تخصص: تاريخ وسيط

إعداد الطالبة:
*جعفري فتيحة

تحت اشراف الاستاذ:
لكحل مراد

السنة الجامعية: 2019-2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم إن الحمد الله، نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلي الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى وسلم تسليماً كثيرً . أما بعد أهدي بحثي هذا :إلى من جعل الله من نبض قلبها أول صوت يسمع من دفئ حضنها... إلى نبع الحنان التي ساندتني ووقفت إلى جانبي حتي وصلت إلى هذه المرحلة من التقدم والنجاح... أمي الحبيبة .

وإلي من علمني طرق الارتقاء ...أبي وإلي من كانوا عونا لي ودعما في أوقات الشدائد وإلى من احتضنوني وزرعوا الوردة في طريقي إلى إخواني وأخواتي.

إلى من جعلهم الله إخوة في الله ...إلى من أتمنى أن يبقي حورهم في عيوني رفيقات دربي إليهم جميعا.

حنان

نجود

http://maoma0520.yeah.net/

كلمة شكر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي محمد خاتم الأنبياء و المرسلين

أما بعد :

أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل وأخص بالشكر الأستاذ المشرف " صالح حسين " الذي لم يدخر جهدا في فترة إنجاز هذا العمل .

وأشكر الله تعالى وأسأله التوفيق والنجاح

Http://maomao520.yeah.net

قائمة المختصرات:

تح: تحقيق

تر : ترجمة

تع : تعليق

ج :جزء

د-ت : دون تاريخ

د.ط :دون طبعة

د.م :دون مكان

ص :صفحة

مج :مجلد

مقدمة

مقدمة:

أهمية الموضوع:

شهد مجتمع المغرب الأوسط خلال الفترة الممتدة من القرن السادس إلى العاشر، توسع وتطور وانتقال من طور البداوة إلى الحضارة بالانفتاح على مختلف الإثنيات والعرقيات، وكنتيجة حتمية للانفتاح ظهر في سلوكيات المجتمع العديد من الانحرافات الأخلاقية بسبب مجموعة من الأسباب سواء ما تعلق منها سياسياً أو اقتصاديا أو اجتماعياً، وبما أن الدين الإسلامي ينهي عن الانحراف والفساد وسعت الدولة في المغرب الأوسط إلى محاربة الفساد والانحراف في المجتمع من أجل الحفاظ على المنظومة القيمية والأخلاقية، ومن جهة ثانية المحافظة على تماسك وهيبة الدولة بمجموعة من الطرق وأشركت في ذلك الفقهاء والأولياء نظرا لمكانتهم من المجتمع، وتعد ظاهرة الانحراف من الظواهر السلبية التي مست مجتمع المغرب الأوسط نظرا لما فيه مفسدة وتهديد الأمن والاستقرار ومن خلال هذه الدراسة ومن هذه الدراسة سنتطرق إلى أبرز الانحرافات وكيفية مواجهتها والتصدي لها من خلال العنوان الموسوم بالانحرافات الأخلاقية بالمغرب الأوسط بين القرنين السادس والعاشر، قراءة في الأسباب وجهود الإصلاح، ويعد هذا الموضوع من بين المجالات التي تسهم عن تناولها كشف بعض الغموض حول سلوكيات وذهنيات مجتمع المغرب الأوسط.

تكمن أهمية الموضوع في كونه يخوض في قلب المنظومة الاجتماعية وتتبع سلوكاتهم وأسباب الانحراف وكيفية مجابهته من أطياف المجتمع.

وقد تم اختيار الفترة من القرن السادس إلى العاشر نظرا لثرائها وانفتاح المغرب الأوسط بمجالاته على مختلف الشعوب والدول.

ومحالة فهم أسباب وتطور ظاهرة الانحراف وتأثيرها في ذهنية المجتمع والبحث في تعامل السلطة والفقهاء والأولياء مع هذه الظاهرة، وكيفية إصلاحها كما أن هذه الفترة تعرض المغرب الإسلامي ككل لجوانح طبيعية عرفها المغرب .

أسباب اختيار الموضوع:

من الأسباب التي أدت بنا إلى اختيار هذا الموضوع على غرار البحث في مجال التاريخ الاجتماعي بعيد عن التاريخ السياسي ومساهمة في البحث عن تاريخ المغرب الأوسط الذي مازال يفتقد إلى مثل هاته المواضيع.

كما أن دراسة ظاهرة الانحراف التي تعد من المواضيع التي تناولتها أصناف المادة المصدرية بشكل ضيق عبر إشارات وردت في المتن وكذلك رغبتنا في دراسة هذا الموضوع من المواضيع الذي لفت انتباهنا، وكذلك محاولة منا لدراسة موضوع يتعلق بالجانب الاجتماعي.

ومن أهم الأسباب كذلك الثورة المنهجية التي جاءت بها مدرسة للحوليات الفرنسية التي سعت إلى البحث في الجوانب المهمشة بعيدا عن التاريخ التقليدي .

إشكاليات الدراسة:

من خلال ما سبق ذكره فقد توخى البحث الإجابة عن الإشكاليات التالية:

-ما هي دوافع وأسباب الانحراف؟

-وكيف واجهت السلطة هذه الانحرافات ؟

وما هي أبرز الجهود الإصلاحية في محاربة ظاهرة الانحراف ؟

-وما هو دور كل من الفقهاء والأولياء في التصدي لهذه الظاهرة ؟

-أن طرح هذه الإشكاليات سيسمح لنا في رصد ظاهرة الانحراف وكيفية معالجتها .

منهج الدراسة:

طبيعة الموضوع وإشكالياته فرضت علينا توظيف المنهج التاريخي من خلال استقصاء المعلومات من المصادر التاريخية وتحليلها، كما أن طبيعة الموضوع فرضت علي توظيف آليات المنهج التاريخي على غرار الوصف والتحليل للظواهر الاجتماعية ومقارنة ما أشملت عليه مختلف المصادر.

واقتضت طبيعة الموضوع تقسيمه إلى فصل تمهيدي وثلاثة فصول)، بالإضافة إلى مقدمة وخاتمة وقائمة المصادر والمراجع.

ففي المقدمة بينت فيها أهمية الموضوع وأسباب وراء اختياره وطرح بعض الإشكاليات الأساسية والمنهج وللخطة المتبعة لأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها .

أما في الفصل التمهيدي يعد حلاً للفصول التي تليه لأنني عالجت فيه مختلف المفاهيم المتعلقة بالموضوع كتعريف الانحراف لغة واصطلاحاً في المدرسة الفقهية وكذلك تعريف الأخلاق لغة واصطلاحاً وفي القرآن والسنة وذلك بغية تأصيل والإفادة .

وفي الفصل الأول الذي جاء تحت عنوان: أسباب الانحراف الأخلاقي في المغرب الأوسط، عالجت فيه أسباب التي جعلت الفرد المغربي يقع في الانحراف من الأزمات السياسية والاقتصادية وكذا الطبيعية من جفاف وفيضانات ومجاعة، وكذلك رصدت ظاهرة للترف والبذخ ودورها في نشر الآفات، فكانت هذه الظاهرة محور للفصل الثاني الذي جاء بعنوان: نماذج عن الانحرافات الأخلاقية في المغرب الوسيط عالجت فيه مختلف مظاهر الانحراف التي شملت، الزنا، البدع، والسحر والكهانة، والتبرك بالقبور وكرامات الأولياء، السرقة، التسول، الخمر.

وقد ضمنا الفصل الثالث الموسوم ب "جهود الإصلاح" وقد تناولت فيه دور كل من السلطة والفقهاء والأولياء، التي تندرج في مساعدة الفقراء ، والوقوف معهم في أوقات الكوارث الشدائد، ومحاربة الآفات الغير أخلاقية من مراقبة وإنشاء خطط، وكذلك تجلا دورهم في محاربة وإصلاح المجتمع من آفات، وصولا إلى خاتمة البحث ضمت مجمل الاستنتاجات التي وصلنا إليها.

عرض وتحليل للأهم المصادر والمراجع : تعددت المصادر المستعملة في بحثنا هذا وتنوعت ونذكر الأهم منها المرتبة حسب الأهمية بنسبة لهذه الدراسة

أ-كتب النوازل الفقهية:

من أهم نوازل الفقهية المتعددة نذكر* : المعيار المعرب والجامع عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب[1] لأحمد بن يحي الونشريسي (914هـ 1508م) ، إذ مكننا من التعريف على بعض المظاهر التي يستهجنها المجتمع، وكشف لنا عن انتشار كل من الزنا والخمر والبدع وساعدنا في الكشف عن بعض الممارسات الغيبية كالسحر والكهانة وكذا زيارة القبور والتبرك بأولياء .

ب-المناقب المرزوقية[2]: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق (ت741هـ/1379م)، هذا الكتاب عبارة عن مجموعة من تراجع الأسرة ابن مرزوق الخطيب والدور الذي جسدته الأسرة لمحاربة الانحراف، وقد أفادنا كثيرا في معرفة بعض الأحكام الفقهية وساعدنا على فهم الذهنيات السائدة.

[1] الونشريسي (ت914، 1508م)، المعيار المغرب والجامع من فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق: محمد الحجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

[2] تحقيق سلوى الزاهري، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء

ب-كتب تاريخ العام:

العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام الغرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر[1]، لعبد الرحمان ابن خلدون(ت808هـ/1406م) فكأنه يغطي الجوانب لدراسة خاصة الأزمات من حروب وفتن ودراستها وكذلك السلب والاعتداء فهو يشير إلى السلوكات الانحرافية من زنا، وشرب الخمر والظلم والمجرمين.

أنس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس[2] لإبن أبي زرع محمد بن علي الفاسي (ت741هـ/1341م) يعد من المصادر الرئيسية كذلك يذكر لنا الكوارث الطبيعية التي حدثت بالمغرب الأوسط ككل، وذكر بعض مظاهرها.

ج-كتب التراجم والطبقات:

عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية[3] للغبريني البجائي(ت704هـ/1304م)، فيه ترجم المؤلف العلماء بجاية الوافدين عليها من فقهاء وصلحاء الأندلس وعن السلوكات الانحرافية وأفادني في بعض أقوال الأولياء والفقهاء حول هذه الآفات.

البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان[4] لإبن مريم المليكي التلمساني (ق11هـ/17م) الذي ترجم فيه المؤلف لعدد كبير من صلحاء تلمسان توظيف عبارات الشيوخ والأولياء والعادة في كراماتهم ومما ساعدني كذلك بروز دور الأولياء والفقهاء في علاج الآفات الانحرافية.

---

[1] تحقيق: سهيل زكارة، دار الفكر للنشر، بيروت، لبنان، دط، 2001.

[2] دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب، 1972.

[3] تحقيق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971.

[4] تحقيق: محمد بن أبي شنب، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1986.

كتب الرحلات والجغرافيا:

وصف إفريقيا[1] للوزان الحسين بن محمد ليون الإفريقي (ت957هـ/1549م)، أفادني في تحدثه عن الكوارث الطبيعية، وعن الممارسات السحرية من طقوس وكذلك الآفات مثل الخمر والزنا.

أما المراجع سوف نذكر بعضها:

اعتمدت على كتاب" تلمسان في العهد الزياني[2] لعبد العزيز فيلالي أفادني، من المظاهر التي انتشرت في المجتمع الزياني وتحدث على حالة الفقراء وتكفل بالمحتاجين في بلاد المغرب الأوسط.

كتاب تاريخ المغرب والأندلس[3] لعصام الدين عبد الرؤوف الفقهي الذي أفادني في المستوى المعيشي في المغرب الأوسط وتحدث عن الوضعية الاقتصادية والتي تأزمت في وقت الأزمات .

وفي الختام أتوجه بالشكر إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل المتواضع وأخص بالذكر الأستاذ المشرف مراد لكحل وقد ساعدني عبر مراحل إنجاز البحث ولا يفوتني أيضاً أن أشكر كل من قدم إلي يد العون وأخص بالذكر الدكتور عبد الرزاق خطو.

وكذلك كل من ساهم في إنجاز هذا البحث من قريب أو بعيد وكل من دعا لي ورجا أن يراني أتلو على نجاح هذا البحث، فإن وفقنا فمن فضل الله علينا، وإن أخطأنا فمن أنفسنا، والله ولي التوفيق.

[1] ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1983، ج1، ج2.

[2] موقع النشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ج1.

[3] مكتبة النهضة، الشرق، القاهرة، د ط.

الصعوبات:

لا يكاد يخلو أي بحث من وجود الصعوبات، ومنها التي واجهتنا في بحثنا هذا والمتمثلة في فيروس كورونا حرمنا من الاتصال والتنسيق الجيد مع المشرف، وكذلك من الصعوبات التي واجهتنا أن الموضوع برغم من بساطة مفهومه الانحراف الذي يحل على الميل أو الحياد إلا أنه أكثر غموضاً مما صعب تحديد السلوكات الدالة عليه، ومن الصعوبات ذلك هو صعوبة التعامل مع النص النازلي لكونها ذات صبغة فقهية.

الفصل التمهيدي

1-تعريف الانحراف حسب المعاجم اللغوية

أ-لغة

ب-اصطلاحا

ج-مصطلح الانحراف في المدرسة الفقهية

2- تعريف الأخلاق

أ-لغة

ب-اصطلاحا

ج-الأخلاق في القران والسنة

تعريف الانحراف حسب المعالجة اللغوية :

لغة:

ويرجع مفهوم الانحراف في اللغة إلى أصل كلمة (حرف) : حرف عنه، حرفا: مال وعدل .

انحرف: مال ويقال: انحرف مزاجه: مال عن الاعتدال[1].

والانحراف حسب معجم لغوي :انحرف، انحرافا، انحرف: مال[2].

اصطلاحا :

الانحراف في معناه الواسع هو الخروج من السياق الاجتماعي العام،إلا أنه يصعب الاتفاق ع على تعريف الانحراف لأنه: مسألة نسبية فما يعتبر انحرافا في مجتمعنا قد لا يعتبر انحرافا في مجتمع آخر، ويختلف في المجتمع الواحد من حقبة زمنية إلى أخرى بفعل التغيرات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية[3].

فالانحراف هو السلوك الاجتماعي المنحاد عن القواعد التي حددها المجتمع للسلوك الصحيح ولطالما أن هذه القواعد تضع معايير معينة يكون الانحراف عنها مؤديا إلى رد فعل واضح من الجماعة، فإن المشاكل الاجتماعية تختلف في الزمان والمكان باختلاف الثقافات[4].

---

[1] مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، مصر، طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأموية، بدون طبعة،1993، ص144.

[2] حسران مسعود،.ت/1(ابريل 1931)، الرائد معجم لغوي عصري، مفرداتها وفقا لحروفها الأولى، طبعة جديدة، دار العلم للملايين، ص 136.ت/1(ابريل 1931).

[3] باسم محمد أبو عليان، الانحراف الاجتماعي والجريمة، علم اجتماع الجريمة، جامعة الأقصى، الطبعة الثالثة ، 2016، ص(57).

[4] محمد عاطف غيث، المشاكل الاجتماعية والسلوك الانحرافي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية،1988، ص(24).

وجاء في قاموس علم الاجتماع: أن الانحراف هو السلوك الذي يتماشى مع القيم، والمقاييس والعادات والتقاليد الاجتماعية التي يعتمدها المجتمع في تحديد سلوكيات أفراده[1].

الانحراف في المدرسة الفقهية:

يعرف أن الانحراف هو الابتعاد من المسار المحدد أو هو انتهاك لقواعد ومعاير المجتمع ويتخذ مفهوم الانحراف في الذهنية الفقهية بمصطلحات كمحدثات أو الحوادث والبدع والضلالات، ويعرفها أبو بكر الطرطشي على أنها جملة من البدع والأمور محدثاتها ،التي ليس لها أصل في كتاب الله ولا السنة ولا الإجماع،وتنقسم إلى قسمين: قسم يعرفه الخاص والعام أنها بدعة محدثة ، وأما محرمة أو مكروهة، وقسم يظنه معظمهم إلا من عصم الله عبادات، طاعات وسننا[2] وكذلك يتخذ مفهوم الانحراف أبعاد دينية فيشار إليها مثلا بمصطلح "الجنايات "التي لها حدود شرعية وتستدعي على فاعلها عقوبات محدودة ، وهي خمسة جنايات ،الأول على الأبدان والنفوس والأعضاء، وهي المسمي قتلا وجراحا، وثانيا ما كان على الفروج وهو المسمي زنا وسفاحا،ثالثا جنايات على الأموال، ورابعا ما وقع على الأعراض وهو القذف، خامسا جنايات التعدي على استباحة على ما حرمه الشرع من المأكل والمشرب ويقص به الخمر[3].

---

[1] عبد الهادي الجوهري، قاموس علم الاجتماع، القاهرة، مكتبة النهضة المشرق، 1973، ص 36.

[2] الطرطوشي أبو بكر محمد بن الوليد(ت 520هـ – 1122م) ، كتاب الحوادث والبدع ، تع : على بن حسين على عبد الحميد ، دار ابن منظور الجسور المعلقة العربية ،ط1 ، 1990، ص 20.

[3] ابن رشد الحفيد، بداية المجتهد ونهاية المقدمة، تح: عبد الله البغدادي ،دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة ، ط1، 1995 ص 2161.

تعريف الأخلاق:

لغة:

الأخلاق جمع خُلق بضم اللام وسكونهما: الين والطبع والسجية وحقيقته .كما يقول ابن منظور :أنه لصورة الإنسان الباطنية، وهي نفسه وأوصافها، ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق[1]، والأخلاق في القاموس المحيط هي الطبع والسجية والتدين[2] .

وحسب المعجم الوسيط:(علم الأخلاق)علم موضوعه أحكام قيمة تتعلق بالأعمال التي توظف بالحسن أو القبح[3].

تعريف الأخلاق اصطلاحا :

يقول الغزالي: << الخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورؤية >>[4].

(الخلق)عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورؤية وسميت الهيئة: خلقا حسنا إن كان المصادر منها الأفعال.

---

[1] ابن المنظور (ق:360هـ, ت:711م)، لسان العرب تحقيق: عبد الله عبد الكبير وزملائه، دار المعرفة، ج(2)، ص1245، مادة الخلق .

[2] الفيروز آبادي مجد الدين بن يعقوب، قاموس المحيط تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، 1993، مادة الخلق ص1137.

[3] إبراهيم مصطفى احمد الزيان، معجم الوسيط ، تحقيق معجم اللغة العربية، ص581 .

[4] أبو حامد الغزالي، ت(505هـ .1111م) إحياء علوم الدين، دار المعرفة بيروت، لبنان، ج4، ص(53),

سميت الهيئة: خلقا سيئا[1]، والخلق قد يكون في بعض الناس غريزة وطبعا وفي بعضهم لا يكون لا يكون إلا بالرياضة والاجتهاد، كالسخاء قد يوجد في كثير من الناس من غير رياضة وكذا الشجاعة والحلم والعفة والعدل وغير ذلك من الأخلاق المحمودة[2].

الخلق هو مكارم الأخلاق وكل الفضائل المحمودة المتقبلة اجتماعيا وعرفا.

الأخلاق في القرآن والسنة :

1-القرآن :

قد وردت النصوص الكثيرة في الكتاب مبينة فضل حسن الخلق ومرغبة في مكارم الأخلاق، ويظهر ذلك فيما يلي :

1- الثناء على النبي صل الله عليه وسلم , وهو قائد المسلمين وقدوتهم بسبب عظمة خلقه فقال تعالى: << **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** >> [3]

2-وقوله تعالى : << **وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** >>[4] .

لفظ الغليظ والمراد به هنا غليظ الكلام، لقوله بعد ذلك غليظ القلب أي لو كنت سيئ الخلق قاسي القلب عليهم لانفضوا من حولك وتركوك[5].

---

[1] الجرجاني علي محمد بن علي، كتاب التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار النشر الريان للتراث ، ط1، 1405هـ، ج1، ت (816هـ /1413م) ، ص(136).

[2] عثمان بن بحر الجاحظ (255هـ/868م)، تهذيب الأخلاق، قرأه وعلق عليه أبو حذيفة إبراهيم بن محمد، دار الصحابة للتراث، ط1، 1310هـ-1979، ص12.

[3] سورة القلم الآية (4).

[4] سورة آل عمران آية (159).

[5] سورة آل عمران آية (159).

3- قال الله تعالى: << كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ >> [1].

ذلك أن الرسول صل الله عليه وسلم جاء معلما مبادئ التمييز بين الخير والشر و ما يترتب عليه من الفضيلة من خيرات وما يترتب عن الرذائل من مضار .

4-وفي موضع آخر يثني القرآن على هذا النبي الكريم وما جاء به من رحمة فيقول سبحانه: << لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ >>[2].

5-حث القرآن على التقوى وجعلها الميزان الذي يتفاضل به الناس و يكرم المرء على أساسه، فقال الله تعالى : << إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ >>[3].

2- السنة النبوية

كما جاءت السنة النبوية مبينة الأجر العظيم لمن اتصف بمكارم الأخلاق

أخبر الرسول صل الله عليه وسلم أن المتصفين بمكارم الأخلاق هم أحب الناس إليه وأقربهم إليه مجلسا يوم القيامة فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال أن رسول الله صل الله عليه وسلم قال :(إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا)[4].

---

[1] سورة البقرة الآية 151.

[2] سورة التوبة الآية 128.

[3] سورة الحجرات الآية 13

[4] أبو محمد بن عيسى بن سورة ، ت (279هـ _892)، الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي ود ت وإبراهيم عطره عوضي ج4، ط1، ص(370).

ومما يؤكد أهمية حسن الخلق وعظم منزلته في هذا الدين الحنيف قوله ,عن أبي هريرة قال : رسول الله صل الله عليه وسلم قال:(أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا,وخياركم خياركم لنسائهم)[1].

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صل الله عليه وسلم قال : (إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم)[2].

وقوله صل الله عليه وسلم قال :(ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، و إن الله ليبغض الفاحش البذيء)[3].

[1] هناء بن السري الكوفي، ت(243هـ)حقيقة، عبد الرحمان بن عبد الجبار الضريوائي، دار الخليفة للكتاب الإسلامي ، ط1، ج2، ص(592).

[2] أبي داود السجستاني،(202هـ_275هـ)سنن ابن داود، إعداد عزت الدعاس، دار الحديث ،ط1، ج4، ص(252).

[3] محمد ناصر الدين الألباني، ت(1420هـ_1990م)، صحيح سنن الترمذي، المكتب الإسلام، بيروت، لبنان، ط1،1408، ج4، ص318.

الفصل الأول

أ-الأزمات السياسية (حروب والفتن)

ب-النظام الاقتصادي (الاحتكار والغلاء) وأثره في الانحراف الأخلاقي

ج- الكوارث الطبيعية والمجاعات (الجراد ,الجفاف ,الفيضانات , الرياح)

د- الترف والبذخ ودورها في نشر الآفات

الأزمات السياسية (الحروب والفتن):

يعتبر المغرب الأوسط ميدانا للحروب والفتن إذ لا تكاد الحروب تنتهي حتى تظهر من جديد ونرجع ذلك إلى عدم قدرتهم على الحفاظ على الأمن وتسيير شؤون الرعية، ويبدو أن الأزمات السياسية كان لها اثر سياسي على الوقع الاجتماعي ولقد شكلت نوعا من الأسباب التي كانت وراء تفشي وبروز بعض الفتن الاجتماعية في المجتمع.

في نهاية القرن السادس وبداية القرن السابع الهجري كان المغرب الأوسط تحت حكم الدولة الموحدية التي شهدت العديد من الأحداث التي عاشتها الموحدية، كاحتلال بنو غنا لبجاية إلى غزوة العقاب الشهيرة ، (609هـ_ 1212م) التي تضررت منها الدولة الزيانية الحفصية والمرينية، بالإضافة إلى الثروات الداخلية من قبل قبائل معارضة للسلطة[1].

ولقد كانت هذه الأحداث البداية الفعلية لانهيار الدولة الموحدية، وتفكيك قوتها على صاحب قول صاحب الذخيرة: "أن وقعة العقاب ، التي أذنت لزوال دولتهم "[2] إذ خلفت هذه الهزيمة نتائج وخيمة أحدثت خراب اقتصاديا وعمرانيا وتوالت سنوات القحط والمجاعات وسنوات القحط وغلاء الأسعار[3].

انعكست سلبيا على المغرب الأوسط فتدهورت الأحوال وتدنى المستوى المعيشي أدت إلى ظهور أزمة الفقر وكانت سببا في بروز الآفات الاجتماعية.

---

[1] محمد المعراوي: الأزمات الطبيعية وانعكاسها على الدولة والمجتمع ضمن الموحدين وأزمات المجتمع، ط 1، حيدر للنشر ، الرباط، المغرب، 2006،ص160-190

[2] علي بن أبي الفاسي، ت1315هـ، الذخيرة السنة في الدولة المرينية، تحقيق: محمد بن أبي رشيد، الجزائر، 1920، ص22.

[3] ابن عذارى المراكشي، (ت 712هـ-1300م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: قسم الموحدين، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون ، الدار البيضاء، بيروت، لبنان، دار الغرب الاسلامي، ط1، 1406هـ-1985م، ص 255-266

إن الحروب غالبا ما تؤدي إلى حدوث مجاعات وغلاء في الأسعار ومما يؤدي إلى انعكاسات اجتماعية كتدني المستوى المعيشي والفقر ونلمس ذلك من خلال حملة يوسف بن يعقوب المريني سنة (698هـ_ 1238م) تعد من أخطر الحملات التي شنها المرينيون علي تلمسان والتي دامت قرابة ثمانية سنوات وثلاثة أشهر انتهج فيها سياسة الحصار الاقتصادي وكانت أكثر تأثيرا على سكان المنطقة. [1]

وقد أحدث خللا في مجال التغذية وتأثير الفقراء بهذا أكثر من الأغنياء وكانت من نتائجها مجاعة عظيمة في تلمسان.

فتحدث ابن خلدون على ارتفاع الأسعار أثناء الحصار مما اضطر الناس لأكل الجيف والقطط، والفئران، واستهلاك أموالهم وضاقت أحوالهم المعيشية[2].

وعلى هذا نقول أن ارتفاع وغلاء الأسعار أثر على المستوى الصحي للفرد الوسيطي وأدت إلى انقطاع سبل وكثرة النهب، وكان سبب في عدم الاستقرار السياسي وتوالى مظاهر الصراع والقتل بين السلطة الحاكمة مما أدى إلى ظهور الفقر الذي كان سبب أساسي في تفشي عديد من الآفات الاجتماعية كقطع الطرق وغيرها.

وعلى سبيل المثال نذكر ما قام به عنان المريني عند دخوله إلى قسنطينة << وعزل قسنطينة ونهبت زروعها وشنت الغازات عليها في مساكنها>>[3]، وتأثرت هذه الممارسات التعنيفية على الوضع المعيشي للسكان وكانت سبب في حدوث المجاعات.

كما نذكر في جانب الصراعات الطويلة على السلطة بين أفراد الأسرة الحاكمة كصراع بين أبو حمو موسى الثاني (760هـ_ 791هـ/ 1359_1389)وابن عمه أبي

[1] عبد العزيز فيلاني، تلمسان في العهد الزياني، موقع للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2007م ،ج1، ص154.

[3] ابن خلدون، (ت 372هـ-808هـ/1332-1406م)، العبر، تحقيق: سهيل زكارة، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت،2001 ج7، ص118.

[3] ابن خلدون، العبر، المصدر نفسه، ص532.

زيان سعيد، والذي دام أكثر من عشرين سنة (762هـ_783هـ /1360م_ 1381)، وتحول إلى حرب عنيفة بين الطرفين خاصة بعد. معركة بجاية (776هـ_1374م)[1].

أدت الحروب والصراعات إلى تراجع النشاط الزراعي والرعوي في البوادي، لأن الفلاحون مهددون بالجوع والإفلاس في أي لحظة يمر الجيش بها ويتلف محصولهم، عند إذن يصابون بالفقر ويجيدون أنفسهم عاجزين عندسه ما عليه من كراء وضرائب، على حد قول ابن خلدون:" قبض الناس أيديهم عن الفلح في أكثر بسبب ما يقع في أخر الدولة من العدوان في الأموال والجبايات أو الفتن الواقعة بين انتقاص الرعايا ... فإذا فقد الاحتكار عظم توقع الناس المجاعات وعجز عنه وأولوا الخصاصة فهلكوا" [2].

الأمر الذي أدى إلى لجوء الكثير من الأفراد المجتمع المغربي إلى الاستلاف والدين، وفي هذا الصدد وردت نازلة عن الفقيه المازوني تتحدث عما اضطر الناس إليه في هذا الزمان والضرورات تبيح المحظورات من معاملة البدويين الفقراء والمحتاجين وذلك لأنهم لا يملكون الأقوات من الطعام ويشترون بالدين إلى الحصاد:" وهذا يؤكد أن المجاعات التي كانت تزيد من تفاقم فقر المزارعين كانت تضطرهم إلى شراء الأقوات الضرورية بواسطة الدين إلا أن يحين موسم الحصاد فيؤدون دينهم"[3].

ومن خلال ما ذكرناه يتضح جليا أثر العامل السياسي والصراعات والحروب على الحياة الاجتماعية إذ كان لها دور في تفشي الآفات، وبروز الانحرافات التي أخذت أشكال ومظاهر متعددة.

---

[1] ابن خلدون، المصدر نفسه، ص170-173.

[2] ابن خلدون، البداوة والحضارة، (نصوص من مقدمة ابن خلدون)، تح: محمد العبيدة المنتدى الاسلامي، لندن، بريطانيا، دط، 1413هـ-1993م) ، ص288.

[3] إبراهيم القادري بوتشيش، حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في المغرب الإسلامي، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2006، ص 36.

1-النظام الاقتصادي (الاحتكار و الغلاء) وأثره في الانحراف الأخلاقي :

لقد كان المستوى المعيشي في المغرب الأوسط يعتمد على الوضعية الاقتصادية , فيتحسن نسبيا في أوقات الرخاء ويتأزم في أوقات الأزمات نتيجة نقص السلع الاستهلاكية وغلائها إن وجدت ونعزو ذلك إلى التطاحن وللعنف الذي يؤدي في الغالب إلى تدهور الاقتصاد و توقف الزراعة والتجارة وانتشار الغلاء والبلاء بسبب الأعمال التخريبية والفساد الذي يحل الأرض والذي يساهم بدوره في إتلاف ونقص المحاصيل الزراعية وانتشار القحط هذا بالإضافة إلى الضرائب التي تفرض وكانت ترهق كامل الرعية وتخرجها عن المألوف[1].

فالدولة الزيانية كانت مثلا تفرض في بداية عهدها ضرائب قليلة على التجار المسلمين، لكن في أواخر عهدها فرضت مغارم لا حصر لها بسبب ضعفها و إرادتها في مواصلة الجهاد ضد النصارى[2].

ويمكن إرجاع ظهور سلوك التلصص والعنف عند بعض الفئات المشكلة للمجتمع إلى السياسة الجبائية التي انتهجتها السلطة السياسية في المغرب الأوسط والتي كانت قد كان لها أثر كبير في اختلال التوازن حيث أنتجت لنا مجتمعا لا يوفر الحاجة الأساسية و الفقر والعجز عن المواجهة[3].

---

[1] عصام الدين عبد الرؤوف الفقهي ت(-)، تاريخ المغرب والأندلس، دط، مكتبة النهضة الشرق، القاهرة، ص186.

[2] الوزان الحسن بن محمد ليون الإفريقي (ت 957هـ _1559م)، وصف إفريقيا، ترجمة : محمد حجي ومحمد الأخضر، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1963، ص10.

[3] نوري سلمي، اللصوصية في المغرب الأوسط ق (725هـ _ 1325م)، مذكرة ماستر، جامعة محمد باغين، سطيف2، 2015.

وتكلم ابن خلدون عن الضرائب وقال أنها تعتبر من موارد الدولة المالية، وارتباطها بعمر الدولة التي تكتفي بفرض الضرائب الشرعية كالزكاة والعشور والخوارج وبذلك تكثر نفقات الفلاح والتجار و البائع وإن الزيادة فيها دليل على انهيار الدولة وقرب نهايتها <<ويؤذن ذلك باختلال العمران على الدولة ولا يزال بذلك يتزايد إلى أن يضمحل >>[1].

فالضرائب أرهقت الرعية وخرجت عن المبادئ الشريعة ولذلك برزت فئة الصلحاء التي وقفت ضد السلطة ومكوسها، فقد شارك الصوفي عبد الله بن شعيب مع العامة في دفع المكاسب واحتج قائلا << ليس في الشريعة مكسب >>[2].

وقد أفرزت هذه الجبايات سلوكات انحرافية في حين أصبح التاجر يستعين بالوالي لكي يدخل سلعة ثم يتبرك به .

ويمثل الحصار المريني لمدينة تلمسان سنة (698هـ/1298/1307 _707) أكبر الحوادث تأثرا على سكان المنطقة لانعدام الأقوات واستنفاذ المخازن للمدخرات والمؤن، وتوقف دخول البضائع والمواد الغذائية إلى المدينة و تحولها إلى مدينة المنصورة التي بناها المرينيون[3].

ومن نتائج هذه السياسة لجوء التجار والعامة إلى احتكار السلع، وبيعها بأسعار مرتفعة للحاجة الغذائية التي تصب على الفقراء، مما أجبر على السكان على تناول أغذية أسوأ بكثير مما اعتادوا تناوله إذ صارت تفتقر إلى الشروط الصحية[4].

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، المقدمة، ص336.

[2] أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني (ت714هـ_1314م)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق:رابح بونار الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1917، ص173.

[3] بلعربي خالد، المجاعات و الأوبئة بتلمسان في العهد الزياني (698هـ_1442_1299 /845م)ضمن دراية كان التاريخ، ع 4كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، 2009،ص22 .

[4] مختار حساني، تاريخ الزيانية ، الأحوال الاقتصادية والثقافية، منشورات الحضارة الجزائرية، د ط، 2009،ص58.

نظرا لعدم الاستقرار الذي شهده المغرب الأوسط خلال هذه الفترة وعجز الدولة أو السلطة الحاكمة على توفير الحماية للرعية التي أدت إلى حدوث اضطراب في القطاع الفلاحي حيت تراجع الإنتاج الفلاحي[1].

إذ أن الفتن والحروب تؤدي في الغالب إلى بروز السلوك التسلطي والتعسفي من طرف الدولة وأبرز مظاهرها فرضت الضرائب لتغطية حاجيات الدولة.

وقد نقل لنا نموذج ابن زرع الفاسي عن تأثير هذه الصراعات على الناحية الاقتصادية حين تحدث عن الحملة التي قام بها السلطان المريني أبي يعقوب على تلمسان سنة (670هـ_1271م)، حيث قامت القبائل المناوئة للسلطة الزيانية باستغلال الفرصة، حيث خرجت جهات تلمسان:<< قطفوا الثمار، ونسفوا الآبار وخربوا الربوع، والزرع لم يدعوا بتلك الجهات قوت يوم حشة السدرة والدوم >>[2].

فنتجت عن هذه الحروب الآثار السلبية في المجتمع المغربي حيث توقفت الزراعة وهجر الناس أراضيهم ، وكان المتضرر الكبير من هذه الحالة هو الفقير في حين يهجر الفرد موطنه للبحث عن ملاذ الحياة، ولعل الأمر لم يتوقف عن هذه الهجرة فقط بل استعمال طرق غير شرعية في كسب الرزق كالسرقة والتسول والتحايل وغيرها.

ونستخلص مما سبق عن مدى خطورة والأضرار التي حضت بها سكان المغرب الأوسط من الناحية الاقتصادية وعمق تأثيرها على حياة الأفراد، وتفكيرهم في البحث عن سبيل جديد للرزق وحتى إن كان بطرق غير شرعية، فكان ذلك سببا دفع بهم إلى

---

[1] حميد تميتلو، الحرب والمجتمع خلال العصر المريني، مؤسسة الملك سيد عبد العزيز،الدار البيضاء، المغرب، 2010،ص241.

[2] بن أبي زرع علي الفاسي (ت 762هـ_1325م)،الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخيار ملوك المغرب ومدينة فاس، دار المنصور للطباعة الورقية، الرباط، 1972، ص132 131 .

الانحراف عن السلوكات الصحيحة إن لم نقل الشرعية فتفشت بينهم مساوئ الأخلاق من سرقة واحتيال.

1-الكوارث الطبيعية في المغرب الأوسط ومساهمتها في الانحراف:

لقد جاء ذكر الكوارث الطبيعية والمجاعات في أمهات المصادر بشكل متباين،ذلك أن المصادر لم تمدنا بالأخبار الكافية حول أحوال المجتمعات بقدر ما نقلت لنا من تاريخ الدولة.

ولذلك ارتأينا أن نخوض في تفاصيل التاريخ الاجتماعي محاولين كشف التفاعل الناتج عن الكوارث الطبيعية والمجاعات من سلوكات انحرافية وأخرى ذهنية ترسخت في مخيال المجتمع آنذاك.

فلقد تنوعت الكوارث الطبيعية خلال القرن (6_10هـ) وتباينت من حيث نتائجها والكوارث الأكثر شيوعا هي الجراد الرياح والفيضانات..... الخ

أ/-الجراد:

يعد الجراد من أخطر الكوارث الطبيعية آفة اجتاحت المغرب الأوسط وتسببت في تدمير المحاصيل الزراعية وإلحاق خسائر فادحة في قطاع الزراعة والاقتصاد، ومن أخطره الجراد الصحراوي[1].

والجراد الشائع في بلاد المغرب في فصل الربيع في الخامس عشر من فيفري وينتهي في الثامن عشر من ماي هذان الشهران معتدلان دائما[2].

[1] ابن الوازن الزياني، وصف إفريقيا، عبد الرحمان حميد، التنفيذ الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإشراف الطباعي: محمد عبد المجيد،ص658.

[2] المارمول كربخال ت (ق10هـ -16م، إفريقية، الرباط: دار النشر المعرفة ت: محمد حجي وزملائه ،ج1، ص30.

وكما ذكرت المصادر عن الجراد الذي قدم في سنة : 630هـ _1232م، فعمت المجاعة بسببه بلاد المغرب الإسلامي، وانعدمت فيه الأقوات، ونقصت الغلات، وقلة مردودية الأراضي[1].

وظل يكتسح بلاد المغرب الأوسط بشكل مستمر لا يتكرر وراء إلا الأغصان اليابسة، مما جعل الإنسان يتجه لكسب قوته باستعمال أساليب انحرافية مثل التسول.

وعاد الجراد المغرب الإسلامي في سنة (679هـ _1280م)،<<الذي أكل زرعها فلم يترك بها مخضرا>>[2].

لذلك تضرر الإنسان المغربي من هذه الكارثة الطبيعية التي دفعت به إلى وقوعه في الانحراف والمحظور فيه لنا الونشريسي، أو البعض التجأ إلى أكل الميتة والجيف وحتى البشر، وهذا مناف لما هو شرعي باعتباره محظور ومحرم، لكن الفقهاء أجازوه قياسا على الرخص المتاحة للضرورة[3].

وفي سنة 617هـ _1220م عم غلاء شديد بسبب القحط، والجراد كما اشتد الغلاء في كامل بلاد المغرب الإسلامي.

وفي سنة 624هـ _1226م بيع قفيز القمح بخمسة عشر دينار، وكان الجراد سبب في ذلك، حيث أتى على جميع المحاصيل الزراعية[4].

---

[1] السلاوي شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري،ت (1315هـ_1879م)، الاستقصاء في أخبار المغرب،تر:جعفر الناصري ومحمد ناصر، دار الكتاب،الدار البيضاء، المغرب، 1954،ج3، ص89.

[2] ابن أبي زرع،المصدر السابق، ص535.

[3] الونشريسي، أحمد بن يحيى التلمساني ت:(914هـ_1508)المعيار المغرب والجامع المغرب فتاوي علماء إفريقية والأندلس المغرب،ت ح: محمد الحجي وآخرون، دار المغرب الإسلامي،بيروت، لبنان، (د،ت)، ج 7، ص259.

[4] ابن أبي زرع الفاسي، المصدر نفسه، ص 273.

وعموما تركت هذه الكارثة الطبيعية لدى الإنسان المغربي البؤس والجوع مما أدى إلى الفقر،وكان انعكاسها هو ظهور ظاهرة الانحراف الأخلاقي في المجتمع المغربي.

-الرياح:

عرفت المغرب الأوسط مناخا جافا صيفا ، باردا وممطرا شتاء، إذا يسيطر على المتوسط ضغط هوائي مرتفع في الشتاء، فتهذب الرياح المغربية محملة برطوبة للمحيط الأطلسي، ويخفف الضغط صيفا وتتنقل مراكز الرياح شمالا مع حركة الشمس، الظاهرية فتسود المنطقة الرياح القبلية الجافة فتجعل الصيف جافا وحارا[1].

ومن أخطر أصناف الرياح التي كان لها تأثير على المحاصيل هي الرياح الشرقية والجنوبية الشرقية و بالأخص في شهر ماي ويونيو، حيث تتسبب جميع المحاصيل، وتحول دون نضج الثمار في أجالها [2].

ويقول ابن أبي زرع أن في عام (679هـ_1280م)، شهدت رياح شرقية بالمغرب دامت ستة أشهر فعقبها الوباء العظيم والأمراض الكثيرة وكذا إتلاف المحاصيل [3].

وهذه الرياح أثناء فصلي الخريف والشتاء تتسبب في إتلاف المحاصيل الزراعية وتوقع الضرر بها، والإعصار العظيم الذي حدث بتلمسان في سنة (776هـ_1374م)،

---

[1] عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال ق السادس عشر،دار الشروق، مكتبة المهتدين الإسلامية،ص53.

[2] الوزان، المصدر السابق، ج1، ص79.

[3] ابن أبي زرع، المصدر السابق،ص102.

أدت إلى وقوع مجاعة شديدة أكل الناس فيها بعضهم البعض وأهلكت الإنسان والحيوان معا[1]مما أدت إلى ظاهرة الفقر، التي تشجع على انتشار آفات اجتماعية.

-الفيضانات:

تعتبر الفيضانات من الكوارث الطبيعية الأكثر شيوعا، وكانت بلاد المغرب الأوسط عرضه الفيضانات الناجمة عن الأمطار الغريزة فكانت تؤدي إلى منهج منع الحرث والبذر.

وتزخر النوازل الفقهية بإشارات حول تضرر الفلاحين من التساقطات الزائد عن الحاجة فمثلا:سئل القاضي أبو عبد الله بن علان عن رجل أكثر من رجل متواضع، فأتى السبل ودخل عليه رجل من الثلث وتطل من غلته كذلك[2].

ولقد نقلت لنا المصادر كثرة سقوط الأمطار في 15 جانفي واستمرت أربعين يوما من عام 763هـ/ 1361م، أدت إلى القضاء على الأخضر واليابس[3].

-الجفاف:

لعل من أبرز الكوارث الطبيعية نجد الجفاف الذي كان من المظاهر المألوفة في بلاد المغرب الأوسط، إذ كان ينتج عن عدم تساقط الأمطار خلال موعدها المحددة.

وقد وصف ابن الخطيب الكارثة التي وقعت في عام (763هـ_1361م)

[1]يحيى ابن خلدون، (ت 780هـ-1378م)، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تر: بوزياني الدراجي، دار الأمل للدراسات والنشر، 2007، ص 314.

[2]البرزلي،(ت 841هـ-1437م)، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام،تر: محمد الحبيب الهيلة، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ج3، ص 389.

[3]الوزان، المصدر السابق،ج1، ص 81.

وقال:<< عظم الجفاف وعصف الرياح الرجف>>[1]، فجاءت كرامات ودور الأولياء في هذه الظاهرة، فالغبريني يذكر عن الوالي أبي الحسن أنه عندما أصاب بجاية من جفاف دعيا لله بأن تمطر واستجاب الله تعالى له وأمطره ومن هنا ظهرت دور الأولياء في الكوارث الطبيعية في فترة الجفاف رغم من أنه سلوك انحرافي[2].

فكانت الكوارث الطبيعية عظيمة الأثر في العصر الوسيط وهناك من لجأ لابتكار حلول لمحاربة الجفاف كاستعمال طقوس احتفالية غير مألوفة وغير مرغوبة اجتماعيا إذ عدها المجتمع من الانحرافات المخالفة للحقائق والتصورات الصحيحة، فيذكر ابن التجاني قال:<< كانت العرب تستجلب المطر، وإذا احتبس عليهم شجر العشر وشجر السلع فيأخذون منها ثم يصعدونها إلى الجبل فيزعمون أنهم يمطرون من وقتهم>>[3]

فكان من السلوكات الانحرافية استجلاب المطر باستعمال طقوس إنحرافية مستحدثة.

-المجاعات:

اجتاح سكان المغرب الأوسط مجاعات ترتبط حدوثها بعوامل طبيعية وبشرية،التي ساهمت في استمرار التدهور والتأزم طول الفترة الوسيطية في ظل التغيرات والتحولات الطارئة على المجتمع نذكر منها:

مجاعة 688هـ/1289م: التي وقعت (بتلمسان /مليكش): ويقول العبدري:<<ثم وصلنا إلى تلمسان وجدنا بلدا جلت به زمانه الزمان، وأخلت به حوادث الحدثان، فلم تبقى به علالة، ولا تبصر في أرجائه للضمئان بلالة>>.

---

[1] ابن الخطيب، (ت776هـ-1369م)، نفاضة الجراد في علالة الاغتراب، تح: سعدية فاغية، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ط1، 1409هـ-1989م، ط1، ج3، ، ص61.

[2] الدراية، مصدر سابق،ص151.

[3] ابن التجاني، ت (717هـ-1317م، رحلة التجاني، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981م، ص314.

في حين تحدث العبدري عن عدم استطاعة أهل مليكش وهي أهل تلمسان عن القيام بواجبه تجاه الحجاج، وحمايتهم من اللصوص وذلك بسبب الأوضاع الاقتصادية المزية التي كانت تعاني منها بسبب المجاعة[1]، وما زاد الطين بلة المجاعة التي حلت بالمغرب الأوسط في 688هـ، شجعت على زيادة اللصوصية وقطاع الطرق فعلا مذموم عرفا وشرعا.

تكرر قدوم المجاعة عام (698هـ _ 1298م) هذه المجاعة قد بدأت مع بداية الحصار المريني على تلمسان وتفاقمت بعد أن فرغت المخازن ونفذت الإتاوات ونتج عنها خسائر بشرية لتلمسان وهلكت الناس بالجوع، ويقول ابن خلدون:"واستهلك الناس أموالهم، وضاقت أحوالهم "[2].

لنرى أيضا تفشي ظاهرة الكرامة الصوفية لمواجهة الجوع، فأغلبية الناس كانوا يصدقون هذه الكرامات ويعتقدون أنها تخفف من معاناتهم.

مجاعة (776هـ _ 13474م): تحدث ابن خلدون وقال:<< أشملت هذه السنة على مجاعة شديدة >>، وهذه المجاعة لم تشمل المغرب الوسيط فقط وإنما شملت عموم المغرب،وكان سبب حدوثها عوامل طبيعية[3].

ويذكرها ابن قنفذ قائلا:<<كانت المجاعة عظيمة بالمغرب وعم الخراب به>>[4]

---

[1] محمد العبدريالبلسني،ت(725هـ _1325)المرحلة المغربية،ت: سعيد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، بونة-الجزائر،1428هـ/2007م،ط1، ص 9-8.

[2] ابن خلدون، العبر،ج7، ص198.

[3] يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بيني عين الواد، تحقيق: ألفا بيبيل، الجزائر، مطبعة فونتانا، 1328هـ-1910م، ج2، ص326-325.

[4] ابن قنفذ، ت(810هـ- 1408م)،سلسلة الرحلات(2)زياراته(1) تر: محمد الفاسي وزملائه، منشورات المركز الجامعي للبحث للعلمي، ص149.

وكما أشار إليه ابن قنفذ أثناء رحلته إلى المغرب التي وقعت فيها مجاعة عظيمة وتحدث عن جماعة من المتسولين الملازمين لقبر الولي القطب أبي مدين شعيب ت (594هـ /1197م) بالعبادة وأوصى بذلك كل زائر للقبر بما يجب عليه فعله من الصلاة والدعاء ثم ينصح قائلا "إن تيسرت تلك صدقة للضعفاء والمساكين الملازمين على باب فادفعها" وعلى هذا فإن المجاعة جاءت ويلاتها على الفقراء وبروز حالة التسول وصارت حالة مألوفة.[1]

وعلى هذا نقول أن المجاعات أحدثت حدثا اجتماعيا كانت لها نتائج وخيمة على المجتمع والمغرب الأوسط لأنها أفرزت آفات اجتماعية خطيرة التسول و اللصوصية وزادت من حد الفقر، وكذلك أثرت على ذهنيات ومعتقدات ونملك ذلك من خلال التقرب للأولياء وزيارة القبور والزوايا.

د-الترف والبذخ ودورهما في انتشار الآفات:

المترفون هم الذين عن أثرتهم النعمة وسعة العيش وحرصوا على الزيادة من الملذات، وسعوا إلى بلوغ الغاية في أنواع الترف من المأكل والمشارب والمساكن والمراكب، وقال الله تعالى في وصف الكفار :<<وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ>>[2]

وقال ابن جرير رحمه الله:(إن الله تعالى أخبر أن الذين ظلموا أنفسهم من كل أمة سلفت فكفروا بالله، واتبعوا ما انظروا فيه من لذات الدنيا،فاستكبروا عن أمر الله وتجبروا وحدوا عن سبيله، وذلك أن المترف في كلام العرب هو المنعم الذي قد غذى بالذات)[3].

---

[1] ابن قنفذ، المرجع السابق، ص 149، 150.

[2] سورة هود، الآية .116

[3] محمد موسى الشريف ، الترف وأثره في الدعاة والصالحين،دار الأندلس الخضراء،المملكة العربية السعودية، جدة، طبعة 1425هـ_ 2004م، ص22.

لا شك أن شرفاء المغرب الأوسط بسبب نسبهم الشريف قد تمتعوا بمكانة مرموقة لفترة من الزمن، شكلوا بدورهم طبقة اجتماعية راقية.

فغذاء السلاطين والأغنياء المترفين ليس كغذاء الناس البسطاء، وهو الأمر الذي أقره ابن خلدون عندما ذكر أن أهل الحضر والأمصار في المغرب عموما كانوا لا يأكلون الغذاء إلا بعد علاجه بالطبخ والتلطيف بمختلف المواد التي تصلح لذلك، في حين كان أهل البوادي قد ألفوا تناول الغذاء على سجيته[1].

كان خبز القمح الجيد كان محفور على طبقة المترفين والأغنياء من أجود الأنواع على الإطلاق ، في حين كان خبر الشعير النوع الأكثر انتشارا بين عامة الناس[2].

وتفاوت في المستوى المعيشي من فئة إلى أخرى، فالفئات الدنيا في المجتمع بالرغم من أنها أكثر إنتاجا إلا أن مستواها المعيشي متقهقر.

وقد وصف الوزان وقال حال تلمسان وقال أن أهلها كانوا يعيشوا من مدخلهم ولكنها لم يسد فيها الرخاء إذا لم يكن يسود فيها سوى خير الشعير[3].

-ولاشك أن هذه الطبقية وكذال حياة البذخ والترف التي شهدتها السلطات العليا قد دفعت بأصحاب الدنيا إلى انتهاج العديد من السبل الغير مشروعة وذلك بغية ارتقاء إلى مستواهم المعيشي فكانت الغاية عندهم تبرر الوسيلة وسلكوا طرق مشروعة وغير مشروعة للوصول إلى ما يطمحون إليه، كما لا يخفى علينا أن حياة الترف والبذخ، تدفع بصاحبها

[1] المقدمة،المصدر السابق، ص90.

[2] المازوني أبي زكريا ت (883هـ _1429م)، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تح: مختار حساني، دار الكتاب العربي، الجزائر، دط، 2009م، ص141 .

[3] الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص8-9.

في كثير من الأحيان إلى اللهو والمجون وارتكاب سلوكات لا أخلاقية والخروج عن القواعد الاجتماعية.

الفصل الثاني :نماذج عن الانحرافات الأخلاقية في المغرب الوسيط

1-الزنا

2-البدع

3-السحر والكهانة

4-التبرك بالقبور وكرامات الأولياء

5-السرقة

6-التسول

7-الخمر

.

تمهيد:

عرفت بلاد المغرب الأوسط خلال الفترة الممتدة بين القرنين (6 هـ-10 هـ) (12 مـ-16مـ) جملة من التحولات في جميع الأصعدة السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية حيث شهدت الحقبة كثيرا من الأحداث التي اتخذت أشكالا و أنماطا مختلفة، كان لها دور في ظهور و تعدد مظاهر الانحراف الأخلاقي في المغرب الوسيط من شرب للخمر والزنا والبدع والسحر والسرقة والتسول وغيرها ، وهنا لابد أن نستعرض هذه الآفات التي تفشت في فئات معينة في المجتمع .

أولا- الزنا :

الزنا والفحشاء هو مصطلح يشير إلى إقامة علاقة جنسية بين شخصين بدون زواج، ويعتبر الزنا في عدة أديان فعلاً محرماً وغير أخلاقي ولا ديني .

وردت نوازل حول بعض الأفعال والسلوكيات غير الأخلاقية في المجتمع المغرب الأوسط ، و في معظمها تعالج مشكلة الأنكحة الفاسدة وزنا المحارم ، و هذا ما جاء عند الونشريسي حين أجاب على مسائل عدة وأوجد حلولا لهذه الأفعال وقد افردها في كتب خاصة ضمن مجلداته .

ومن المسائل التي وردت عند الفقهاء حول الزنا نذكر النازلة قاسم العقباني ، أن امرأة توفي زوجها فهربت مع رجل و مكثت عنده ، وولدت ، فقال: الولد لاحق للفراش ، و هذا دليل على انتشار ظاهرة الانجاب غير الشرعي مما اضطر الفقهاء إلى إلحاقهم بآبائهم وفق حديث " الولد للفراش" .[1]

وعرف المغرب الأوسط ظاهرة قبول الأهل اتخاذ بناتهم أصحابا وأخدانا في علاقة غير شرعية مستهجنة اجتماعيا، و هذا ما أورده لنا الونشريسي في نازلة أن بعض النسوة كن يهربن من أسرهن إلى الجبال رفقة شباب[2] .

و دل هذا على أن هذا السلوك الانحرافي كان موجودا عند الأسر المغربية رغم أنه لم يكن عاديا ، وجعل البنت منحرفة أحيانا تضطر للهروب مع عشيقها في فعل لا أخلاقي ولا ديني.

[1] – الونشريسي ، المصدر السابق، ج 4 ، ص 523.

[2] – الونشريسي ، المصدر السابق، ج10 ص 255.

كما أن ممارسة المرأة للزنا في المغرب الأوسط لم تكن مع رجال المسلمين فقط ، بل تعدت ذلك إلى رجال من أهل الذمة ، وكان ذلك في ظل السياسة التي حظيت بها هذه الفئة، ونلتمس ذلك في إحدى النوازل " من امرأة كانت تطاوعهم وتمكنهم من نفسها " [1]

وظهرت أيضا آفة زنا المحارم عند البعض ،وسببها إظهار المفاتن كالبطن والفرج ووقوع الرجل في إغراء لا متناهي وقد قال عنه ابن خلدون انه مفسد للنوع ، و مخلط للأنساب [2] .

كما ساعد على انتشار ظاهرة الزنا وجود سوق النخاسة بمدينة تلمسان كون المدينة تقع على أهم مسالك التجارة ، ملتقى للعابرين من المسلمين و أهل الذمة، فكانت فئة التجار تملك العديد من الخدم و الجواري ، ولقد عرفت بسبب الزنا عملية إسقاط الأجنة ، إذ كان يفرض عليها سيدها إسقاط الجنين ، وهذا ما أشار إليه الونشريسي بقوله " كما يفرض سلفة التجار في سقي الخدير، وعند إمساك الطمث الأدوية التي ترعيه فيسيل المني معه لينقطع الولادة "[3]

وهذا يمثل سلوكا انحرافيا محرما مخالف للشرع وهو كما أسلفنا نتيجة المعاشرة الغير الشرعية .

كما أورد الفقيه على بن عثمان نازلة حول امرأة هرب بها رجل و خلا بها زمانا ثم ردها لوليها ، فزعم انه كان يزني بها أيام الاسترداء[4] . هذا وعرفت ظاهرة الزنا انتشارا

---

[1] المازوني، المصدر السابق، ج2 ، ص 160 .

[2] ابن خلدون ، المقدمة ، ص 311

[3] الونشريسي، المصدر السابق، ج 4 ، ص 236

[4] الونشريسي ، المصدر السابق، ج 4 ، ص 476

واسعا في عهد الموحدين في أوساط الإماء خاصة اللواتي كن يتاجرن بأجسادهن مقابل المال[1] .

وفي سياق هذا وجدت علاقات جنسية أخرى ، عرفت انتشارا في الوسط النسوي إذ تمارس فيها المرأة الجنس مع مثيلتها و يصطلح عليها "المساحقة " ، و التي تقوم على أساس إتيان المرأة للمرأة [2] .

و الجدير بالذكر أن هذه الظاهرة انتشرت انتشارا لا مثيل له في المجتمع التلمساني في العهد الزياني حيث تفشت لدى نساء و جواري القصر [3]

ثانيا- البدع :

كان سكان المغرب الأوسط يمارسون بعض العادات و التصرفات التي تعتبر من وجهة النظر الشرعية بدعا :

ومن البدع المحرمة التي اعتاد عليها أهل المغرب بدعة اتخاذ طعام معلوم في بعض المواسم ، كالاحتفال بعاشوراء وقال ابن الحاج : "لم يكن في عاشوراء لمن مضى طعام معلوم لابد من فعله" .

ومنها ما يفعله بعضهم من أنهم يتركون تنظيف البيت و كنسه عقب سفر من سافر من أهلهم ، و يتشائمون بفعل ذلك بعد خروجهم و يقولون أن فُعل لا يرجع المسافر[1]

---

[1] نشيدة معوش، الاماء في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط ، مذكرة ماستر ، جامعة محمد لمين دباغين ، سطيف ، 2016 ، ص 181 .

[2] العقباني ابي عبد الله محمد ابن احمد بن احمد بن بلقاسم (ق871 هـ 1467 م) تحفة الناظر و غنية الذاكرة في حفظ الشعائر و تغيير المناكر ، تح : علي الشنوسي ، مستخرج من مجلة الدراسات الشرقية، دمشق، سوريا، 1967 ، ص73

[3] عبد العزيز فيلاني، المصدر السابق، ج 1 ، ص 321 .

ومن البدع إيقاد الشمع ليلة مولد النبي صلى الله عليه و سلم و سابع وما في ذلك من أنواع المفاسد ، و قد تصدى لتغيير ذلك النكير بتلمسان الشيخ العالم أبو عبد الله سيدي محمد بن مرزوق (ت 781 هـ)، وانقطعت تلك المفاسد في تلمسان طول حياته رحمه الله ، ثم عادت بموته[2] .

وكذلك من البدع التي اعتاد عليها أهل المغرب هي نبش القبور، فالونشريسي يذكر لنا ظهور هذه الظاهرة في تلمسان ، في حين جاءت الفتوى بتحريم ذلك سنة (876 هـ -1471 م) ، ومنع الفقهاء حفر القبور ونبشها ، فجاءت نازلة الفقيه ابن مرزوق عن مقبرة لها ثمانون سنة أو أزيد ، وإذا حفر فيها لميت توجد بعض عظام الموتى ، وسئل حول جواز الدفن فيها ، فقال لا يجوز تغييرها أبدا[3] .

ثالثا- السحر والكهانة :

السحر ظاهرة اجتماعية عرفت انتشارا واسعا بالمغرب الأوسط ، فلقد تحدث الوزان عن نموذج للسحر في المغرب الأوسط فقال:... ويبيعون للجمهور الجاهل أوراقا صغيرة كتب عيها كلمات ووصفات ضد مختلف الأوجاع ، يحملون أفاعي حول عنقهم ، و يقولون لنساء معلومات عن المستقبل[4].

[1] الونشريسي، ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 489

[2] الونشريسي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص (471-472)

[3] الونشريسي ، المصدر السابق، ، ج 1 ، ص 329 .

[4] حسن الوزان ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 279 .

وإن كنا نعزو لانتشار ظاهرة السحر ومعها الكهانة إلى ضعف إيمان الناس والصعوبات التي كانوا يعانون منها ، كل تلك العوائق أجبرتهم على الرضوخ لفئة المشعوذين، ولقد اتفق رأي الفقهاء على حرمة و بدعة هذا السحر [1].

وفي نفس الموضوع سئل الفقيه احمد الخباب عمن يشتغل بضرب الحظ و غيره من أنواع الكاهنة ، حيث يكتب سحر المحبة و الكره ، وعقد العروس و ما شابه ذلك فأجاب أن هذا سحر محرم وهو من الكبائر [2] .

في موضوع انتشار السحر يشير العقباني التلمساني بقوله " وقد شاهدناهم في كثير من الأمصار و الأقطار..." وهي عندهم صناعة لها مراتب من الحيل والتحيل و المكان، و لجهلهم و إيهام العقول بتدليساتهم، وفيها كثير من أمور الطب و أنواع العلاج و بيع الحروز و إدعاء القيام بالسحر وأشياء من نحو ذلك كثيرة غايتهم منها أكل الأموال وتحصيلها ، و يدخلون الوهم و العلل على صحاح الأجسام .[3]

ويبدو أن المرأة انشغلت بهذه الآفة و استعملت بعض الطقوس السحرية لدفع المرض و مثل هذه النمط سلوك انحرافي .

وهنا أشار الوزان عن بعض النسوة في قسنطينة كنّ يعمدن إلى التوجه حمام ساخن يتدفق من أحجار ضخمة و يعيش فيه عدد من السلاحف و يعتقد فيها أنها شياطين، و إذا أصيبت إحدى النساء بعلة ترجع ذلك إلى غضب السلاحف و سخطها و

[1] أبو القاسم بن احمد البلوي البرزلي ، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا المعنيين و الأحكام تقديم و تحقيق ، محمد الحسين الهبلة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، ج 6 ، 2002 ، ص 217 .

[2]– الونشريسي، المصدر السابق ،ج 12 ، ص 55 .

[3] العقباني المصدر السابق،، ج 14 ، ص86.

لتخلص من الداء تذبح دجاجة بيضاء و تضعها بريشها كاملة في إناء ثم تربط حول الإناء شمعتان و تحمله إلى العين و تتركه هناك [1] .

و يبدو أن انشغال النساء بهذه الآفة ناجم عن ظروف و ضغوط اقتصادية ومستوى معيشي متدني عانت منه النساء وكذا الفقر الاجتماعي و التعسف الأسري و الجهل .

ويمكن القول أن هذا السلوك لم يقتصر على العامة فقط بل عرف بالقصور عند الأحرار و الجواري ، وكن يتنافسن على محبة السلطان ، و يتضح ذلك من خلال الوصية التي تركها بقوله : أبو حمو موسى الزياني لأبنه يحذره من شر النساء بقوله" يا بني لا تأمن على طعامك و شرابك الأحداث من النساء... لان الأحداث من النساء تدعوهن شراهية الصبا أن يخلطن في طعامك و شرابك ما يرين انه ينفعهن و لا يضرك مما يستلمن به قلبك "[2]

برغم من أن هذه الوصفات كانت علاجية أحيانا لكونها تحتوي على بعض الأعشاب الطبية ، غير أنها لا تخلو دائما من مظاهر السحر والشعوذة[3]

و بالنسبة للفقهاء فقد كانوا ندا معارضين ومحذرين من هذه الفئة وأفعالها، وقد سئل احدهم عمن يكتب حروفا مجهولة المعنى للأمراض فينجح و يشفى بها فأنكر ذلك [4].

[1] الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 59.

[2] ابن الحجاج التلمساني المغربي ، شموس الانور و كنوز الاسرار ، دار الجيل ، بيروت ، د–ط، د–ت ، ص 20

[3] البرزلي، المصدر السابق ، ج1 ، ص380

[4] الونشريسي ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 70

كما أن للونشريسي نازلة عن بيع كتب الخرافات و الشعوذة ،فأجاب ... انه لا يجوز بيعها ولا النظر فيها .[1]

وكذلك جاء عند الونشريسي ، عن ظهور ساحر يهودي بقلعة هوارة وكان نص النازلة يشير إلى استهتار هذا اليهودي بالمسلمين ورئيسهم ، وكان جواب الشيخ أبي الفضل قاسم العقباني ان يضرب الضرب الأليم و يسجن السجن الطويل .

ومما أوردنا يتضح أن هذه الظاهرة لم تكن في أوساط العامة فقط من النساء بل دخلت أيضا بلاطات و قصور السلاطين، و قد نرجع تفاقم هذه الظاهرة إلى غياب مراقبة السلطة بتلمسان .

رابعا- التبرك بالقبور وكرامات الأولياء :

من الانحرافات والخرافات التي ظهرت في العصر الوسيط هو زيارة القبور والتبرك بالأولياء ، و لجهلهم يلتفون حول الأولياء و الصلحاء لأنهم كانوا ينتظرون منهم الخلاص فيهم الملاذ الأخير من الظلم الجبائي المسلط في اعتقادهم من السلطة الحاكمة[2] .

في حين عارض الفقيه الونشريسي البناء على القبور و تجصيصها و شد الرحال لزيارتها[3].

وأشار البرزلي إلى أن مكانة الأولياء الصالحين تزداد حتى بعد موتهم إذ قال "فإذا ماتوا زادت شهرتهم وقوي ذكرهم "[4] .

---

[1] الونشريسي ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 390-400

[2]- محمد دحماني : حكايات كرامات منطقة الشلف ، رسالة ماجستير ، مرقونة ، قسم اللغة العربية وادابها ، جامعة بن يوسف خدة الجزائر ، 2005 -2006 ، ص 26

[3]- الونشريسي ، المصدر السابق، ج11 ، ص 152 .

[4]- البرزلي، المصدر السابق ، ج6،ص 403

كما ظهرت كرامات الاستسقاء ، وذلك بسبب القحط ، وهذا ما حدث مع أهل قسنطينة عندما حاصرهم بنو غانة ، فلجئوا إلى وليهم أبي الحسن علي بن خلوف ليستسقي لهم، فما أن استجاب حتى أمطرهم الله كثيرا مما أدى إلى فيضان سد بني غانة بسبب الأمطار الغزيرة فتخلص الناس من الحصار .[1]

وهذا النص دل على كرامة الولي و تقربه الى الله بالدعاء ، ونزول المطر و تبرك الناس به.

وكذلك كرامة أبي الحسن الحرالي (638هـ – 1242 م) الذي كان سكان بجاية يلتمسون منه الدعاء، و يشير إليها الغبريني في قوله" أصاب الناس جفاف عظيم و قلت المياه وجفا مسيون ووصل الرزق إلى أربعة دراهم وكان الناس يملؤون من الوادي الكبير ... فدعا الله تعالى و رفع يديه ...فكان المطر كافواه القرب وأوى إليه الناس و أعنقوه "[2] .

وهذه كانت صورة عن كرامات الاستسقاء إذ كان الناس يلتجئون إلى الأولياء في أيام القحط من اجل طلب الدعوة .

خامسا–السرقة :

تعد السرقة من مظاهر الانحراف الأخلاقي التي شهدها المغرب الأوسط ، فهي تختص بشريحة أساسية من الشرائح المهمشة التي عنت من ويلات الفقر والحاجة مما اضطرهم إلى السرق التي أدت إلى ظهور حركة اللصوصية، ولقد وردت نازلة عند الشيخ الفقيه ابن مرزوق و قاسم العقباني مفادها :" جوابكم عن خمسة رجال من أهل السرقة و

[1]– ابن قنفذ الفارسية في مبادئ الدولة الحفصي ، تج : محمد الشاذلي و عبد الحميد التركي ، الدار التونسية للنشر ، تونس 1968 م ، ص 103 .

[2] الغبريني ، المصدر السابق، تج : عادل النويهض، منشورات دار الآفات الجديدة ، بيروت ، 1979 ، ص 149

الخيانة و قطع الطرق و غير ذلك من أنواع الفساد المعروفين بذلك المشهورين به ، فقدموا على محشر و أرادوا السرقة وهم بالسلاح ، ثم إنهم قتلوا رجلا من أجل المجشر " فكانت إجابة **ابن مرزوق:** أن قضاة الأمصار في زمننا هذا لهم ان يقيموا الحدود في القصاص [1] .

كما تحدث ابن خلدون عن وضع الأحوال المناخية البيئية التي شهدتها تلمسان في (732هـ –1332 م) كشفت عن سلوكات النهب التي استهدفت مدخرات المدينة من القمح و الشعير من قبل اللصوص ، يقول ابن خلدون: "حين حلت بها هذه الفاترة ، فانتهب الناس من تلك المقوال، ما لا كفاء له ، و اصرعوا مختطفا بالأرض فنسفوها نسفا ودوروها قاعا صفصفا " [2]

في ضل هذه السلوكيات الإنحرافية أصبح المجتمع يعيش حالة متأزمة و الصراع حول العيش أدت إلى حالة من الهلع و انقطعت سبل التجارة و تزايد خطر التلصص .

وفي هذا السياق نفسه تحدث لنا النميري عن الفيضانات التي اجتاحت قسنطينة فظهر قطاع الطرق و انتهزوا فرصة التعدي على الممتلكات الشخصية من نهب و اختلاسات للأموال الناس بقوله :

"في اشتداد السيل و ترك الناس أموالهم ... فما من الناس من رأى شيئا من ماله و لا امتدت إليه عادية ....وقد امتدت إليها أكفف الانتهاب وأعان السيل و الليل على الاختلاس و الاستلاب"[3] .

---

[1] الونشريسي، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 402 .

[2]– ابن خلدون، العبر، المصدر السابق ، ج1 ، ص 301 .

[3]–النميري ابن الحاج ابراهيم بن عبد الله الغرناطي (ت بعد 774 هـ –1372 م) ، فيض العباب افاضة قباح الاداب في الحركة السعيرة الى قسنطينة و الذاب ، تح : محمد بن شقون ، دار الغرب الاسلامي ، ط1 ، بيروت ، 1990 ص 260 .

وهذه سلوكات اجتماعية انحرافيه خلفتها الكوارث الطبيعية عبرت عن واقع اليم ممن تأثروا بالجوع فيسلك الفرد سلوك النهب ليفر من المجاعة و الموت .

وفي هذا الصدد تحدث ابن قنفذ انه قبل رحلته من تلمسان قد قام بزيارة قبر الشيخ أبي مدين وذلك للدعاء و التسبيح و التهليل ، لتسيير الانتقال و الحفظ من كل الأحوال و هذا ببركة الشيخ ابي مدين ، وقال ابن قنفذ : "انتهى سفرنا على وقف اختيارنا و الحمد لله ، وذلك عندنا محمود من كرامات الشيخ ابي مدين "[1]

وهنا تبيان لدور الأولياء في المجتمع الوسيط في مواجهة الظواهر الفاحشة والتصدي على المعتدين على أموال الناس ، عن طريق الدعاء والاستغاثة بهم و بزيارة قبورهم خاصة في أوقات الأزمات .

سادسا- التسول:

طاهرة التسول في المغرب الأوسط ترجع إلى التحولات الاقتصادية التي شهدها المجتمع المغربي والتي نجم عنها بروز الطبقية وازدياد حركة البذخ والترف و ارتفاع الأسعا .[2]

فنجم عنها ظهور فئة عاجزة عن تحصيل عيشتها , ناقمة علي وضعيتها الاجتماعية المتدنية , متخذة من التسول بديلا لها .

أن ظاهرة التسول كانت الأكثر انتشار في أوقات الأزمات ، وهذا ما أشار إليه ابن قنفذ لما تحدث عن المجاعة التي ألمت ببلاد المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة سنة 776هـ - 1374 م تحدث عن ظهور جماعة من المتسولين . الملازمين

[1]- ابن قنفذ ، نفس المصدر السابق ، ص 105

[2]- ابراهيم بوتشيش القادري، مباحث في تاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين . دار الطليعة للنشر والطباعة ، بيروت ، 2000 ، ص (176.177)

لقبر أبي مدين الغويث (ت 594.1197م) بالعبادة ، حتى انه أوصي كل زائر لهذا القبر بترك ما تيسر عنده من صدقة الفئة للمعدمة .[1]

و تحدث ابن مرزوق عن ابن يزيد بن يعقوب الصنهاجي الذي أعتبره النموذج الأمثل للتعاطف مع المتسولين وذكر أن سائلا جاء إليه يطلب قوت عياله في سنة المجاعة التي كانت بتلمسان فأثره بخبزة من الفرن رغم حاجة عياله إليها [2].

و على العموم نقول أن المتسولين كان يزورون الأولياء الصلحاء و قبورهم في أوقات الرخاء و المجاعة على حد سواء .

ونجد أن ابن خلدون كان ينظر إلى ظاهرة التسول على أنها ظاهرة اجتماعية، وأكد على تفاوت مستوى المتسولين في بلاد المغرب الأوسط من خلال المستوى المعيشي حيث انه قال: " و اعتبر ذلك في أحوال الفقراء و السؤال يسالون أيام الأضحى أثمان أضحياتهم و رأيتهم يسألون كثيرا من أحوال الترف و أفخر المأكل ، مثل سؤال اللحم و السمن و علاج الطبخ و الملابس و الماعون كالغربال ، و لو سأل سائل مثل هذا بتلمسان أو وهران لاستنكر وعنف وزجر"[3].

عنصر التهميش الذي مس فئة من المتسولين شكل عبئا على المجتمع المغرب الأوسط أدى إلى ظهور فئة مستهلكة غير منتجة .

---

[1]– ابن قنفذ، المصدر السابق، ، ص 105 .

[2]– ابن مرزوق ، ابو عبد الله محمد التلمساني الخطيب ، (ت 489هـ –1374م) : المناقب المرزوقية ، دره تح : سلوى الزهراوي ، ط1 : مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء ، 2008 ، ص 299

[3]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج6 ، ص 55

سابعا- الخمر :

عرفت ظاهرة الخمر تفشيا ملحوظا في المغرب الوسيط وهذا لما أحاط بها من ظروف سياسية ، و اجتماعية ، و اقتصادية .

وتعد بجاية من المدن ذات استيراد كميات معتبرة من الخمر وفق عقود مبرمة بينها وبين مرسيليا وفي سنة 710هـ -1310م شهدت وصول حمولة تقدر ب52 برميل من الخمر لحملها الى بجاية [1] .

وهذا ينقل لنا صورة عن مدى خطورة الدول الأوربية على مدن المغرب الوسيط في انتشار هذه المادة السامة .

كما ظهرت هذه الآفة الانحرافية في العهد الحفصي غير مست فئة قليلة من المجتمع ، وفي قسنطينة كان الملك عبد العزيز 796هـ 1394م كما تذكر المصادر جائرا معاقا هو و أخوه الذي كان لوطيا و سكيرا جائرا [2] .

هذا وان انتشار شرب الخمر بين الوجهاء فيه دلالة على حياة البذخ و الترف و التفسخ الأخلاقي .

[1]-دومنيك فاليرين، بجاية ميناء مغاربي،(1067-1510)، ترجمة : علاوة عمار، (ج- قسنطينة) ، المجلس الأعلى للغة العربية ، 2014، ج2 ، ص 475-476.

[2] - حسن لوزان ، وصف إفريقيا، ج 2 ، ص 56-57 .

الفصل الثالث: جهود الإصلاح

1–دور السلطة في مواجهة الانحراف

أ–إنشاء الحسبة لمراقبة الأسواق

ب–اتخاذ خطة الشرطة

ج–مساعدة السلاطين في أوقات الحروب والكوارث والمجاعات

د–مساعدة الفقراء من قبل السلطة

2 –دور الفقهاء في مكافحة الانحراف

أ–دور الفقهاء في مساعدة الفقراء

ب–دور الفقهاء من الضرائب والمكوس

ج–الأعمال التي قام بها الفقهاء أثناء الكوارث والشدائد

د–جهود الفقهاء في إصلاح المجتمع

3–دور الأولياء في محاربة الانحراف

أ–تقديم الأولياء مساعدات للفقراء

ب–دور الأولياء في أوقات الكوارث والشدائد

ج–دور الأولياء في إصلاح المجتمع

جهود الإصلاح:

تمهيد:

طبيعة المجتمع متغيرة ما يطرأ عليها من ظروف سواء كانت تلك المتعلقة بالحرب أو السلم وهذا ما عبر عنه ابن خلدون:" أعلم أن الدولة تنتقل في أطوار مختلفة وحالات متجددة، ويكتسب القائمون بها في كل طور خلقا من أحوال ذلك الطور لا يموت مثله في الطور الآخر، لأن الخلق تابع بالطبع لمزاج الحال هو فيه"[1].

في حين أحرزت ظاهرة الانحراف التي شهدها العصر ظهرت خلال القرنين السادس والعاشر هجري، حيث ظهرت فيه العديد من المنكرات الأخلاقية داخل المجتمع لأن تأثيره على الدولة وسط وإخضاعها، روئي المجتمع على ضرورة رفع هذا الخلل عبرت بوضوح عن الترابط الاجتماعي والتكافل فيما بينهم الذي يحرك في ذلك الوازع الديني والأخلاقي في محاربة وإصلاح هذه المفاسد وقد تصدى لها كل من الفقهاء والأولياء نظرا للمكانة التي يحتونها في المجتمع بإضافة إلى النظام الحاكم وعليه فما هي أهم الجهود والإصلاحات التي قامت بها الدولة والفقهاء والأولياء في سبيل القضاء على الفساد الأخلاقي.

1-دور السلطة في مواجهة الانحراف:

من المعلوم أن الدور السلطوي في مكافحة الانحراف هو من أساس موالاة الرعية وتندرج هذه السياسة ضمن البرامج المقررة على السلطات تطبيقها وبالتبرير عليه للوقوف بجانب رعيته وحمايته وتوفير الأمان ومحاربة كل ما من شأنه أن يخل بنظام العالم.

وقد برر دور السلطة في مكافحة الانحرافات والمفاسد عبر مجموعة من طرق:

[1] ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص22.

أ-إنشاء السلطة الحسبة لمراقبة الأسواق:

وتعد مهمة المحتسب حماية المجتمع من الظواهر السلبية ومكافحة الآفات الاجتماعية وكان المحتسب مكلف بمراقبة الأسواق، ويساعد المحتسب أعوان يقلون أو يكثرون حسب الحاجة وما يتطلبه السوق والحالة الاجتماعية بشكل عام ويقوم المحتسب بطبع المكاييل والموازيين بقسم معلوم عنده[1].

وتعكس للرقابة المفروضة على الأسواق لضمان السير الحسن لنشاط التجاري ورغبة لوضع حد من السلوكات الانحرافية الصادرة عن بعض الباعة.

ويذكر الونشريسي أن من الباعة والتجار من كان يلجأ إلى الغش والتحايل، ومن ثم يتعرض للعقوبة من جانب المحتسب أو صاحب السوق وممنوع الغش في الأسواق من خلط العسل الجيد بالرديء والزيت القديم بالجيد، وبيع الخمر ناقص ومزج اللبن بالماء[2].

كما كشف لنا العقباني عن بعض السلوكات السيئة للجزارين بتلمسان بقوله:" قلت: وكذا تقررت ببلدنا تلمسان أن ما يبيعه الجزار من اللحم يدخل في وزنه شيئاً من الكرش والمصران على قدر بشدة الثمن وقلقه" [3].

كان المحتسب يقوم بمراقبة المكايل والموازين التي يستعملها التاجر وذلك لوضع حد للغش والتدليس، في بيع السلع وبشرائها ويذكر بعض المصادر عن وحدات الكيل المستعملة عند أهل تلمسان ومدن المغرب الأوسط منها: الصاع وهو ما يعادل أربع يبورية، مع العلم أن الصاع الشرعي يساوي أربع حفنات[4] .

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ص398.

[2] الونشريسي، المعيار، ج6، ص409-413.

[3] العقباني محمد المصدر السابق، ص114.

[4] الونشريسي، المصدر السابق، ج5، ص90.

ب-اتخاذ خطة الشرطة:

كان الهدف من تأسيس الشرطة هو تكوين جهاز تنفيذي قوي ضد المجرمين وقد أعطاوها الزيانيون عناية خاصة جانب الحسبة وكان لا يتولى خطة صاحب الشرطة إلا من اتصف بالصلابة والحسم في الأمور الشرعية والسياسية[1].

في حين في العهد الزياني قام سلاطين بني زيان للتفكير في إنشاء خطة صاحب الشرطة وذلك من خلال الحوادث المتكررة لهجمات اللصوصية على القوافل التجارية والمسافرين وهذا ما جعل إلى انعدام الأمن والاستقرار، خاصة خلال سنوات حكم يغمراس بن زيان(681هـ-633هـ/1282-1235م) وعلى إثر حملة السلطان المزيني أبي يعقوب سنة (670هـ/1270م) وحضارة لمدينة تلمسان كثر نهب القبائل فخرجت فصائل توجيه التي كانت مناوئة للسلطة المركزية وراحت تعمل على النهب والتخريب، بجهات تلمسان "، فقطعوا الثمار ونسفوا الآبار، وخربوا الربوع، وأفسدوا الزرع ولم يدعوا بتلك الجهات قوت .... السدرة والدوم[2].

واعتبرت هذه من بعض الدوافع إلى إنشاء صاحب الشرطة حرصا منهم على تصفية عناصر الشر والفساد والجريمة واللصوصية داخل الدولة، ولقد قامت الشرطة في العهد الزياني بدور كبير وحاسم في تطبيق الأحكام الصادرة عن القاضي، وصاحب المظالم ويظهر ذلك جلياً في عهد السلطان أبو حمو موسى للثاني بحيث دونها وصية لإبنه من بعده باعتناء بهذه الخطة عن طريق مسائلة صاحب الشرطة في كل ليلة ما يقع داخل البلد من صغيرة وكبيرة حتى يتجنب الظلم[3].

[1] ابن خلدون، المقدمة، ص 446.

[2] ابن أبي زرع الفاسي،المصدر السابق، ص(131-132)

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، العبر، ج7، ص292.

وهذا دل على الاهتمام الكبير لأبو حمو موسى الثاني في دولته وذلك من خلال التجربة السياسية والإدارية التي عاشها، وكذلك من أجل تطبيق القوانين الصادرة عن القاضي شيدوا وبنوا زيان لهذا الغرض عدة سجون حسب أنواع السجناء وطبقاتهم وربما كان للمجرمين سجن خاص بهم وللمعتقلين السياسيين والرهائن سجنهم[1].

كل هذا ساهم في تتبع السجون في تلمسان، وكان الولاة يقومون بمساعدة صاحب الشرطة في تأدية مهامه ولكن صاحب الشرطة في العهد الزياني ينظر في أحكام الجرائم ابتداء ثم تنفيذ الحدود الخاصة بها، وكانت الحدود تطبق بصرامة كبيرة، بل إن الزيانيين جعلوا للأسواق شرطة خاصة بها ينفذ صاحبها أحكام المحتسب والقاضي[2].

ونقول في الأخير أن الشرطة في العهد الزياني قامت بدور كبير في الحفاظ على الأمن داخل ربوع الدولة وتمثل مسؤوليتها التدخل لردع اللصوص والقطاع الطرق خوفاً من النتائج الكارثية الناتج وراء هذه الآفات من سلوكات غير أخلاقية ولا شرعية.

ج-مساعدة السلاطين في أوقات الحروب والكوارث والمجاعات:

يمكن معرفة تأثر الحروب والشدائد الطبيعية على الإنسان المغربي الوسيط، إلا من خلال المستوى المعيشي الذي كثيرا ما تأثرت أثناء ظهور الأزمات الاقتصادية وجوائح طبيعية كمجاعات، وهذه الأزمات أفرزت سلوكات اجتماعية عبرت عن تكافل الاجتماعي بين السلاطين في زمن المحن:

تعددت جهود السلاطين في أيام المجاعات مثلما فعل السلطان أبو حمو موسى الأول وعلى حسب ما ذكر العمري في قوله: لم يدع ما يحتاج إليه المحاصر لعدة سنين كثيرة حصلة من

[1] ابن خلدون، المصدر السابق ، ج7، ص215.

[2] ابن مرزوق التلمساني، أبي عبد الله محمد(ت781هـ/1379م)، المناقب المرزوقية، تح: سلوى الزاهري، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، ص 2008م.

الأقوات والآلات حتى سلبت الشحوم وتمليت بها الصهاريج وملئت أبراج المدينة بالملح والفحم والحطب واختزن أرضا داخل المدينة كلها زرع[1].

ولقد اعتبرت المحاولة التي قام بها السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني بمثابة الخطوة المهمة لتكفل المحتاجين عن إخراج وفتح المخازن الزرع لبيع بأقل ثمناً تسير المحتاجين المنهكين من جراء الغلاء الفاحش عقب حدوث المجاعة[2]، كما أن السلطان أبو حمو الزياني كان حريصاً على مد يد العون للمحتاجين في أوقات الكوارث، وذلك من خلال تخزين المؤن تحسباً للظروف حيث أوصى ابنه قائلاً له: " وأعلم يا بني أن بالطعام قوام عالم الإنسان،فإن اختزن الطعام في زمن الرخاء، وأر الناس بذلك فوجدوا ذلك في زمن الشدة"[3].

وكان أهل تلمسان وسلاطينها يدخرون الموارد الغذائية في أهراء المدينة ومطاميرها في أحد أحياء تلمسان يسمى يحي المطمر[4].

ولهذا أثبت حضور السلطة في أوقات الكوارث واستعدادها لمواجهة الظروف القاسية من الأزمات بفتح هذه المطامير لرعية لوقوف إلى جانبهم وكثيرا ما ينفذ الطعام فيتوجه الأهالي إلى السلاطين شاكين أحوالهم المزرية، وهذا ما تحدث عنه الوزان ما حدث في أيام حكم السلطان أبو زيان، فلم يطق سكان تحمل المجاعة واشتكوا إلى الملك فأخبرهم أنه قابل أن يطعمهم لحمه لو كان يكفي لإعالتهم جميعاً" [5].

---

[1] العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمطار، ممالك اليمن والغرب الإسلامي وقبائل العرب، تح: حمزة أحمد عباس، دار الكتب الوطنية، الإمارات، 2003، ص204.

[2] فيلالي عبد العزيز ، المرجع السابق،، ج1، ص143.

[3] موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان، كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك، مطبع الدولة، تونس، 1679م، ص 88.

[4] يحي ابن خلدون، البعية، ج1، ص209.

[5] الوزان، المصدر السابق، ج2، ص18.

هنا أثبت وقوف السلطة بجانب الرعية في أوقات المحن، كما ظهرت بعض جهود السلاطين في أوقات المجاعة التي حلت بالمغرب الأوسط فاتخذت السلطة عدة إجراءات لمواجهة هذه الجائحة خوفاً من ظهور سلوكات إنحرافية في المجتمع التي تكون نتيجة الجوع والفقر.

وكذلك برز دور السلطان أبي حمو دوسي الثاني من خلال ما قدم به من جهود لصالح الطبقات الضعيفة والمحتاجة خاصة في أوقات المجاعة عام(767هـ-1365م)، وهنا ما أورده يحي ابن خلدون بقوله:" واشتملت هذه السنة على مجاعة شديدة أكل فيها بعض الناس بعضا لريح ذات إعصار أهلكت الزرع فافتقر الناس إلى ما عند الخليفة فتصدق نصره الله بنص جباية، كل يوم على ضعفائها فيقسم ذلك حفظه الله عدلا بينهم[1].

د-مساعدة الفقراء من قبل السلطة:

حرص السلاطين على تقديم يد العون إلى الفئات الضعيفة وذلك من خلال الإطلاع على أحوالهم ومعرفة مشاكلهم وحاجياتهم وهنا تبينت أدواؤهم اتجاه الفئات المحتاجة لأجل تحسين المستوى المعيشي والتقليل من وطأة الفقر.

حرص السلطان أبو حمو موسى الثاني على تقديم المساعدات للفئات الضعيفة في المجتمع وكان حريصاً على تقديم الجرايات لهم في مختلف المناسبات والاستماع لانشغالاتهم مرة في كل أسبوع[2].

كما ذكر أبو مرزوق عن الدور الذي قام به السلطان أبا حسن المريني أثناء حكمه لتلمسان بإعطاء الضعفاء اثنتا عشرة ألف دينار عشر ألف كساء من الطعام مطامير لا تتحصى كثيرة[3]،أولته السلطات السياسية عناية خاصة بالفقراء والمساكن.

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع الُسنة، الجزائر، 2007، ج2، ص576-577.

[2] عبد العزيز فيلالي، مرجع السابق، ج1، ص29.

[3] ابن مرزوق، المصدر السابق ص191، -193.

كما ذكر صاحب البستان أن السلطان محمد ابن أبي تاشفين قد زاره الشيخ أبو كان وقراء عنده دراهم كثيرة ليفرقها على الفقراء والمساكين[1].

فالجدير بالذكر أن الرعاية الاجتماعية للفقراء والمساكين كانت من أولويات أهل السياسة تقدم لهم الإعانات والمساعدة لتفادي انتشار آفات أخرى تضر بالمجتمع والدولة.

2-دور الفقهاء في مكافحة الانحراف:

عمل فقهاء للمغرب الأوسط على حد من انتشار ظاهرة الانحراف، سواء من خلال سن قوانين فقهية وردعية، كما إن قرب الفقيه من المجتمع مكنه مكن معرفة نشاط الانحراف، وتحديد ظروفه وفي حالات استعملوا أسلوب اللين و النصح وفيما يلي سنحاول أن نعرف أهمية الفقهاء في محاولة الحد من انتشار هذه الظاهرة من خلال مجموعة من الإجراءات:

أ-دور الفقهاء في مساعدة الفقراء:

مخالطة فقهاء المغرب الوسيط للأفراد مجتمعهم إلى الإطلاع على أحوالهم ومعرفة حاجياتهم بحكم مكانة الفقهاء ووضعهم الاجتماعي، فتبين دورهم تجاه الفئات العامة المحتاجة لأجل تحسن المستوى المعيشي ومحاولة حل المشاكل التي يعاني منها المجتمع المغربي:

1-اهتم فقهاء تلمسان بفقراء مجتمعهم وسعوا في تحسين أوضاعهم ولم يبخلوا عليهم، فكان الشريف أبو عبد الله تلمساني ت(771هـ-1370م) لا يسألوا جهدا في إعانة الناس مع كرم واسع منهم، وكانت نفقاته عليهم عديدة يعطيهم رفيع الكساء[2].

[1] ابن مريم، محمد بن محمد الملقب التلمساني/ق11هـ/17م، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق: محمد بن أبي شنب للجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1986، ص89-90.

[2] ابن مريم، المصدر السابق، ص169.

كما كان الفقيه الشيخ أحمد بن الحسن بن عبد الرحمان الغماري(ت874هـ/1470م) بتقديم مساعدته للفئات العامة الفقيرةن وذلك حسب ما ورد في قول ابنه صعد الأنصاري " أنه كانت تأتيه الثمرات من كل شيء ويقصده الناس بالصدقات وجاءه من الذهب المائة والمئتان فلا يدخر ذلك وإنما كان يفرقه على الفقراء[1] وكذلك كان معروف انه يتولى بنفسه خدمة للمرضى من الفقراء ويحمل لهم الطعام إلى منازلهم ويتفقد أحوالهم[2].

عُرف الفقيه أبو عبد الله بن أبي بكر مرزوق بحبه وعطفه على الفقراء حيث كن يهب المال للفقراء ولمن أراد التجارة، وكان يكتال من زرعه للضعفاء طول السنة ويمنحهم مقدار من المال وكان مجيب الدعاء لمن حل به الفقر أو المرض.

كما عُرف والده أبا العباس ابن مرزوق(681هـ-741هـ) الذي عرف بكثرة أصدقائه وأعماله الخيرية وذلك ما جاء في كتاب المناقب أنه كانت له مطامير من قمح وفحم وكان يعد اللحم المدخر والزيت، فإن كان يوم ثلج فتح مطمورة من قمح وأخرى من فحم، يتصدق بالفحم والزرع طول يومه، فلا يرجع إلى داره حتى يفرغ من المطمورتين[3]، وبالمثل كان الشيخ الحسن أبركان (ت857هـ/1453م) كان كثير الشفقة على أفراد مجتمعه والإحسان إليهم مقدماً على النظر لنفسه ووضعه، وهو الذي يلتقط طعامه من الطرقات وأثقاب الحيطان[4].

ويظهر من خلال ما تطرقنا إليه حول الجهود التي قام بها فقهاء المغرب الوسيط من إحسان إلى فقراء مجتمعهم السعي إلى تقديم مساعدات جرت عليه عاداتهم طوال أيام السنة خوفا من ارتكابهم سلوكات عدوانية مخالفة للشرع تؤدي بهم الإنحراف .

---

[1] ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، المصدر السابق، ص165.

[2] ابن صعد الأنصاري التلمساني، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، تح: يحي بوعزيز، منشورات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2002، ص194.

[3] ابن مرزوق، المصدر السابق، ص190، 191.

[4] ابن مريم، المصدر السابق، ص88.

ب-موقف الفقهاء من الضرائب والمكوس:

لاشك أن الفقهاء ساهموا في تخفيف العبئ الثقيل الذي شكله للضرائب على معدومي الدخل الأمر الذي اضطرهم إلى العيش في ضيق، ساهم الفقهاء في مواجهة المغارير عن طريق الرفض أو الإلغاء، ومثال على ذلك ما قام به الفقيه أبو ربيع سليمان أحد من متصوفة تلمسان (779هـ-1377م) الذي حذر أحد الوزراء بما قد يصيبه إن قام بالتمكيس، مذكر إياه بالعقوبة التي تعرض لها سابقوه من فارغي المكسب[1].

كما أظهر الشيخ أحمد العماري(ت874هـ/1470م)، كان معارض لهذه الضرائب والمكوس ومن خلال فتح داره للطالبين بالمغارير والمكوس، والفارين من أيدي السلطة[2].

فظهر فقهاء تلمسان كمدافعين عن أفراد المجتمع خاصة الفقراء الذين يتعرضون إلى الضيق وهذه الوضعية صور لنا الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق(ت 871هـ/1379م) بقوله... فكم أدت المطالب بها إلى افتقار وكم هتكت فيها حرمة أمواله وأعراض..."[3]

ج-الأعمال التي قام بها الفقهاء أثناء الكوارث والشدائد:

لا يمكن معرفة تأثر المحن والشدائد الطبيعية الغير طبيعية على إنسان المغرب الوسيط إلا من خلال مستوى المعيشة وفيما يخص جهود الفقهاء أثناء هذه الكوارث والمحن صورت لنا المصادر صورة واضحة لعملية التضامن والتكافل الاجتماعي مع الفئة التي عاشت من هذه الكارثة.

[1] الغبريني، المصدر السابق، ص 173.

[2] ابن صعد، المصدر السابق، ص220.

[3] ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 286.

هناك فقهاء استخدمت ملجأ للفقراء والمحتاجين خاصة أيام الشدائد، وقاموا بتزويدهم ببعض الأطعمة والألبسة والصدقات التي تحل إليهم، واتخذوا من المساجد مكان للتوعية بخطبهم ومواعظهم المؤثرة وحثهم على الصبر على أيام المجاعات التي اجتاحت تلمسان[1] بسبب الأوضاع التي عاشتها المغرب الأوسط خلال القرن 14 هـ إلى 15 هـ جعلته يمر بفترات صعبة بسبب المجاعة التي حلت بالمغرب جعلت أفراد المجتمع عرضة للمجاعات والأمراض.

ومن مجهودات فقهاء في مساعدة أفراد مجتمعهم في أوقات الحاجة نذكر الفقيه محمد بن يوسف السنوسي(ت895هـ/1490م) يوصي أهله بالصدقة خاصة وقت الجوع، وكان يتصدق في السر على الفقراء ويقول أن من أحب دخول الجنة فعليه بصدقة[2].

ونلمس الدور الذي قام به الشيخ أحمد بن الحسن الغماري (ت874هـ/1470م) أثناء الغلاء الشديد الذي حل بتلمسان وتعطلت به الصلاة في كثير من المساجد، فقد ظل نائماً في مسجد الحفاويين، حتى رفع عنهم هذا الضيق[3] وكان ذلك في وقت الذي كان الناس همهم الجوع.

وكذلك ذكر ابن مرزوق أن ضعيفاً جاء يشتكي جوعه وجوع عياله وكانت سنة مجاعة، فأمر بتصديق بما جاء بخبز عياله الضعيف، فتشتت عائلته من الجوع، فقال:" ذهبت بخبزكم من هو أشد حاجة منكم[4].

---

[1] المازوني، أبو زكريا يحي بن موسى المغيلي(ت883هـ-1429م) ، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تح: مختار حساني، دار الكتاب العربي، الجزائر، دط، 2009، ج1، ص337.

[2] التنبكتي أحمد بابا(1036هـ/1627م) نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم: عبد الحميد عبد المراء، ط1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 1989م، ط1، ج2، ص256.

[3] ابن مريم، المصدر السابق، ص33.

[4] ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، مصدر سابق، ص299.

فنقول أن العلماء في مثل هذه الظروف وإن لم يستطيعوا مساعدة الناس مادياً، فالواجب عليهم دعوتهم وقد كبرهم الصبر والثبات ومحاربة النهب والسلب الذي في المجتمع[1].

وهنا تبين أن الفقهاء أدوا أدوارا لمساعدة أفراد مجتمعهم من هذه الكوارث التي ألت بهم.

د-جهود الفقهاء في إصلاح المجتمع:

تعد الآفات الاجتماعية التي عرفها المجتمع الوسيط هي من المنكرات التي من الأمور الشاذة التي لها صدى أخلاقي كبير وتأثر اجتماعي عميق، مما يجعل دور العلماء في تصحيح تلك السلوكات أمرا ضرورياً ومهماً.

اهتم فقهاء تلمسان بتماسك العلاقات الأسرية بين الأمراء لذلك سعوا إلى إصلاح تلك العلاقات التي قد تعصف بها الرياح بخلاف وعدم التفاهم، وقد كان الشيخ المحسن أبركان(ت857هـ/1454هـ) يحرص على إصلاح بين الناس، كثيرا ما أتاه من هو على خلاف مع والده أو أهله أو صديقه فيقوم بجمعهم وتبيان الحق لهم ويصلح بينهم[2].

فالمجتمع المغربي لم يسلم من السلوكات المنحرفة في وقت كانت التفسخ الأخلاقي رائجة في بلاد المغرب[3] فعمل فقهاء تلمسان أعباء في تغيير هذا الوضع وإصلاح المجتمع ومحاربة هذه السلوكات الإنحرافية، فشرب الخمر يعد من السلوكات الغير أخلاقية التي انتشرت في المجتمع المغربي ورغم تخصيص الدولة الأماكن خاصة، شرب الخمر، مما يجعل القاضي الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم العقادي (ت871هـ/1467م) يتدخل ويأمر المتصرفين بمنع السكارى المجاهرين بسكرهم من السير في الطرقات، لما قد يصاحب ظهورهم من عبث القول وفاحش الكلام[4].

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج7، ص197، 198.

[2] ابن صعد: المصدر السابق، روضة النسرين، ص119.

[3] الغبريني، المصدر السابق، ص152.

[4] العقباني، المصدر السابق، ص69.

واتخذ فقهاء المغرب الأوسط موقفاً معاد بأن محاربة الزنا والفساد الأخلاقي، وأفتى الفقيه المفتي أبو العباس أحمد الونشريسي(ت914هـ/1508م) نهى الرجال عن الجلوس على الطرقات والتعرض للنساء، ونهى والنساء عن تبرجهن واجتماعهن في المقابر[1]، كما منع المرأة إسقاط الحمل واستعمال الأدوية لمنعه[2].

ورغم انتشار السرقة في المجتمع المغربي فإن دور فقهاء في مواجهتها وتخليص المجتمع منها، ومن ذلك ما ذكره المؤرخ ابن مريم التلمساني(ت1014هـ/1605م) أن الصوفي الحسن أبركان (ت857هـ/1454م) رد لخادمة حماره الذي اخذ منه، بعد أن تشفع الخادم بسيده الصوفي الذي كان بعيدا عن مكان الحدث[3].

في حين عرف الفقيه الزاهد أبو الحسن عبد الله بالعدالة وإقامة الحق وردع المفسدين من المتلبسين والمشعوذين غير مسامح في شيء يخالف ظاهرة الشريعة الإسلامية[4].

ومما سبق يظهر لنا جهود الفقهاء المغرب الوسيط التي تهدف إلى نشر الفضائل والتصدي للسلوكات الانحرافية والسعي إلى تحقيق التماسك الاجتماعي وبناء مجتمع قائم على مبادئ الشريعة الإسلامية.

3-دور الأولياء في محاربة الانحراف:

لعب دور الأولياء اهتمام خاصاً في المغرب الوسيط، فشخصية الولي هي بمثابة الزعيم الروحي في المجتمع فكانوا يؤمنون بكل الطقوس الصادرة عنه، وهذا ما دعت تدخل الأولياء بتقويم المجتمع ومحاربة للظواهر الانحرافية هو بهدف الوصول إلى مجتمع خال من مظاهر التفسخ الأخلاقي، وهذا ما سوف نتسعرضه:

---

[1] الونشريسي، المعيار، ج3، ص500.

[2] الونشريسي، المصدر السابق، ج3، ص370.

[3] ابن مريم، المصدر السابق، ص275.

[4] الغبريني، عنوان الدراية، ص 107-108.

أ-تقديم الأولياء في مساعدة الفقراء:

لقد برزت العديد من الصلحاء في المغرب الأوسط من أجل معالجة مسألة الفقر والعجز والتخفيف من المعاناة المجتمع منها القيام برفع من المستوى المعيشي وتعتبر فئة الأولياء لها دور كبير تجاه الفئات الفقيرة، وتحدث ابن خلدون عن أحد الأولياء الصالحين للقاطن في إقليم البطحاء قد اشتهر بالعنى وكانت تحله صداقات وكانت تحله صدقات من كل البلدان فيجمع سنوياً مبلغاً من المال، فيطعم به الفقراء والمساكين، وقال الوزان: في حديثه عن هذا الأمر" وأخذ يتقاطر عليه جمهور عظيم من الناس، فيطعمهم جميعاً[1].

وقد تجسد الخطاب الرمزي في كرامات متصوفة للمغرب الأوسط، فكان أبو عبد الله بن أبي الله بكر بن مرزوق يرى بأن محاصيله من قمح وشعير وفاكهة كلها خيرات الله لا تضني فكان يزرع من موضع صغير، وعندما ينضج المحصول يحضر الفقراء والمساكين فيوزع عليهم ما يحتاجونه، وما تبقى ينقله إلى بيته ليعيل به أهله، بل ما يلبث يتصدق منه على المحتاجين" [2].

يظهر دور الأولياء كذلك في تخفف من المعاناة الفقراء عن طريق الصدقات التي يدفعها المسلمون، يمكن أن فعل الإمام عبد الرحمان بن رستم مثالاً لما كان به الصالحون فقد كان يشتري الألبسة والطعام فيوزعها على الفقراء[3].

وممن اشتهر بالصدقة أبا العباس السبتي الذي قام منهجه الصوفي عليها فكان يأمر من يأتيه بالصدقة حتى يتحقق ما يريد، وحبه لصدقه.

---

[1] الوزان، المصدر السابق، ص88.

[2] بونابي، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرن الثامن والتاسع، الجزئين 14-15 الملادين، أطروحة دكتوراه في العلوم في التاريخ الإسلامي للوسيط، إشراف عبد العزيز فيلالي، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 1429-1430هـ/ 2008-2009، ص 184.

[3] ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تح: محمد ناصر،وإبراهيم بخار، مطبوعات الجميلة الجزائرية، 1985، ص30.

ب-دور الأولياء في أوقات الكوارث والشدائد:

نشط المتصوفة أكثر خلال الأزمات التي تعرض لها الغرب الإسلامي، فلجأ إليهم أفراد المجتمع لمساعدتهم في تسيير بعض أمور حياتهم، أو لدفاع من الخطر الذي يداهمهم من المشاكل المستعصية عليهم، ويبرز دورهم خاصة في الأزمات كأوقات القحط والجفاف[1].

وسعى بعض الصلحاء وقف أوقات المساعدة المحتاجين الفقراء والمساكن المتضررين في زمن الشدائد فقد أورد الونشريسي[2] أن رجلاً من أهل مليانة أو حي بأن يصرف ثلث أملاكه عند وفاته على المساكين" وقد حدث ذلك سنة ثمانية وثلاثين وسبعمائة (738هـ/1338م) .

كما ذكر الغبريني عن الولي يحي بن أبي علي الزواوي حيث قام إبان المجاعة الواقعة ببجاية سنة 611هـ/1214م تجمع المال من أعيانها، واكترى به صندوق جمع فيه الفقراء والمحتاجين واشترى لهم ما يكيفهم من الناس والطعام وأعانهم بذلك عن السؤال[3].

وتحدث ابن مرزوق للخطيب قد جاء أحد الفقراء غلى الولي عبد الرحمان بن علي الصنهاجي يشكو إليه جوع عياله في سنة المجاعة " وأخرج له الولي من الفرن خبزا لعياله، مع أنه كان أحوج الناس إلى هذا الخبز والإحسان دفعاه للخروج إلى الأسواق والطرقات لحض الناس على ذلك[4].

---

[1] ابن الزيات أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار العباس السبتي، تح: أحمد توفيق ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الرباط، المغرب، ط2، 1997، ص 67-70.

[2] الونشريسي، المعيار، ج6، ص457.

[3] الغبريني، عنوان الدراية، ص135.

[4] إبراهيم بوتشيش، المرجع السابق ، ص 158.

وهنا يتضح أن المتصوفة بذلوا جهودا كبيرة للحد من انتشار الفقر والعوز، فراحو يعملون في مختلف المهن للحصول على ما يتصدقون به على الفقراء والمحتاجين[1].

يظهر كذلك حسن معاملة متصوفة المغرب الأوسط، ومن بينهم التواضع في أسمى معانيها جلوس عمر الحباك في تلمسان مع جماعة من الفقراء يفترشون الأرض في زمن برد شديد[2]، لأن خادمة داره جاءته تشكو جوع أهلها فرد عليها بأن الخبز ذهب به من هو وأشد حاجة منكم"[3] .

لقد خضعت الأولياء في زمن الكوارث الطبيعية إلى لغة الكرامة والإحسان وهناك أولياء أقدموا على تخزين مزروعاتهم تحسباً لنوائب الدهر، وذلك ما ذكر عما يجب البستان عن مطمورة للشيخ محمد الأدغم السويدي جاؤوا وكذلك مطمورة الشيخ أبي السادات التلمساني، حيث كان له الحصاد وله الزرع وخزنوه في مطامير كثيرة[4].

كانت هذه المطامير يخرجونها في وقت الحاجة خاصة وقت الكوارث الطبيعية ولتقديم المساعدة لفقراء والمحتاجين.

ج-دور الأولياء في إصلاح المجتمع:

عمل الأولياء على محاربة الآفات الاجتماعية بكل الوسائل وساهموا في إيقاظ الضمائر ونشر الأخلاق والمبادئ الإنسانية وابتعدوا عن الأماكن التي ترتكتب فيها المحرمات، ومن هنا سوف نستعرض دور الأولياء في التصدي لهذه الآفات الانحرافية:

[1] أبو العباس المراكشي، الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، راجعه عبد الوهاب ابن منظور، ج1، المطبعة الملكية، الرباط، صدر بين سنتي 1993 و 1998م، ص 408.

[2] ابن الزيات، المصدر السابق ، ص436.

[3] ابن مرزوق، المصدر السابق، ص299.

[4] ابن مريم، المصدر السابق، ص 453.

وتمثل دور كرامات الأولياء من الإطلاع على ما يبطنه المنحرفين من أجل تربيتهم وإصلاحهم هدفها الوصول إلى مجتمع خال من السلوكات الانحرافية، كما أن آفة الخمر أثقلت الكثيرين فلتمسوا لها حلول عند المتصوفة وذلك ما نقله الغبريني من كرامات الشيخ الحرالي(638هـ) أن امرأة كان لها ولد مدمن على معاقرة الخمر فأتت تشكو ذلك الشيخ وتلتمس من عنده حلاً فنصحها حيث قال: قولي له يشرب بالكؤوس الكبار، لهذا يشرب الكؤوس الصغار... وهكذا فلم يمض من المدة إلا مقدار يسير، ثم أن الشاب قد تاب وحسن حاله[1] .

وكذلك شغل بال المتصوفة ظاهرة السرقة فتجندوا لمحاربته، فقصدهم العامة للاسترداد ما سرق منها[2]، فوظفت كرامات الشيخ كسلاح لردع المجرمين، ومن ذلك لصاً دخل بستان الشيخ ابن عبد الله بن أبي بكر بن مرزوق فعلقت يده في الشجرة حتى الصباح، ولما جاء الشيخ قال له: لا تدخل قلبي البستان فلما انتهى من عمله قال له: تائب فقال: اللص نعم يا سيدي، فقال له إنطلق فذهب بعد قبل يد الشيخ وصار من الصالحين"[3].

فحرص المتصوفة إلى وعظ الناس ونهيهم عن ارتكاب المحرمات فيقومون بمخاطبة الأشخاص الذين يأكلون الحرام.

كما ساهمت كرامة الأولياء في الحفاظ على التماسك الأسري الذي هو أساس الإصلاح الأخلاقي، فقد ذكر ابن خلدون في بغيته في معرض كلامه عن الشيخ أبي مدين عن مسألة تلميذه الذي غاظته زوجته ليلا فكسر اواني داره ونوى فراقها ثم غدا إلى مجلس الشيخ فلما انصرف الناس لزمه وقال له: أمسك عليك زوجك واتق الله" [4].

---

[1] الغبريني، عنوان الدراية، مصدر سابق، ص150.

[2] ابن الزيات، المصدر السابق، التشوف، ص403.

[3] ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص 163، 164.

[4] ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، ج1، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1400هـ/1980م، ص126.

هنا ينتهي دور الأولياء الذين أصلحوا الخلافات الأسرية التي كانت تحدث بين الزوجية، والتي كانت تنتهي في كثير من الأحيان بالطلاق للذين عملوا على تفادي وقوعه.

ساهم المتصوفة بدرجة كبيرة في إعانة المتسولين من الرجال والنساء، بالتصدق عليهم فقد وقف المتصوفة إلى جانب هذه الفئة، دون اللجوء إلى توظيف كرامتهم كشأن أبي زيد يعقوب الصنهاجي الذي جاءه سائلاً يطلب قوت عياله فأثره بخبزه أخرجه من الفرن[1].

كما ساهم متصوفة المغرب الأوسط بالارتقاء بأخلاق مجتمعهم عن طريق تمرير خطابهم بشكل مباشر في صيغة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هو أنجع الأوليات التي تؤثر بشكل فعال في السلوك والأخلاق، وذلك أن أبي محمد عبد السلام قام بدعوة الأمير تلمسان للتحلي بخلق التواضع، كما أن له موقف مع الطبقة العامة حيث نهى رجل من أهل الدعارة عن فعله حتى أنه أخذ بأثوابه وضرب به الحائط، وقد فتح عن نهيه المنكر توبة الرجل بل ولحق بالأولياء[2].

[1] المقري أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1997،ج1، ص220.

[2] ابن الزيات، التشوف، ص 111-112.

خاتمة

الخاتمة:

وفي نهاية الدراسة وما يمكن أن نخلص إليه من نتائج أن ما أصاب المجتمع في المغرب الأوسط خلال فترة القرن السادس والعاشر من منكرات وآفات أخلاقية كان بفعل عوامل متعددة تنوعت ما بين سياسي واقتصادي وطبيعي واجتماعي، وأثرت بشكل كبير في تماسك المجتمع وفي استقراره.

*ظهر في مجتمع المغرب الإسلامي العديد من الآفات التي تفشت داخله على غرار الفقر واللوحصية إلا أن الفتن والحروب الداخلية كانت من أبرز الأسباب التي أدت إلى ظهور سلوكات انحرافية عشوائية.

وانجر من الركود الاقتصادي وأثقل كاهن السكان بالضرائب كان سبب في تعطيل مسار تطور الاقتصادي كان له دور في ظهر ظاهرة السرقة وانعدام الأمن، تأثرت الكوارث الطبيعية والمجاعات على سلوكات ذهنية الإنسان وقد زادت من حدة الفقر، وأصبح الإنسان همه إشباع جوعه وإن كان على حساب الآخر.

* تفشت مظاهر الانحراف الأخلاقي في المجتمع الوسيط بظهور بعض السلوكات المنبوذة التي أفرزت مجتمع يعج بمظاهر الفسخ فأصبحت بعض هذه الانحرافات مكسب للرزق واللصوصية والتسول واعتبر هذا الأخير من أخطر المظاهر التي ظهرت في مجتمع الوسيطي سوى إفراز الأزمات الاقتصادية والسياسية فكانت عاجزة عن المساهمة في عملية الإنتاج.

*وساهم الفقر في انتشار عدة ظواهر غير أخلاقية مثل الزنا والدعارة في المجتمع الوسيطي، واعتبر السحر من الآفات الاجتماعية الاكثر تفشي بين النسوة وذلك نتيجة إنحراف سلوكها وعن ضعف الوازع الديني.

*أما فيما يخص شرب الخمر كانت من الظواهر التي قصدها العام والخاص على حد سواء.

*كما أن هذه السلوكات قد وجدت محاربة من طرف السلطة أو الفقهاء وحتى من الأولياء من خلال إما إصلاح أو سن قوانين ردعية، ومواجهة هذه الآفات بالعمل الإصلاحي والدعوي الكبير الذي بدأت في سبيل محاربة هذه الظاهرة، وقد ظهر جلياً أن السلطة أو الفقهاء قاموا بأدوار كبيرة على المستوى الاجتماعي وقد تنوعت الأدوار اتجاه المجتمع بين التكافل والتكفل بالمتضررين وإقرار مشاريع إصلاحية وكان للأولياء دور كبير فيها، فتدخلت لإيجاد الحلول للانحرافات وحاربت البدع وفرضت الرقابة على مختلف الشرائح التي من شأنها أن تساهم في تفاقهم ظاهرة الانحراف .

لذلك إن المجهودات التي قامت بها قامت كل من السلطة والفقهاء و الأولياء كانت كبيرة على الرغم من الاضطرابات والأخطار التي واجهتها لأنها حاولت تغيير المنكر لأن بصلاح المجتمع صلاح الدولة وبقاء استمراريتها .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا-قائمة المصادر:

***القرآن الكريم برواية ورش**

1-ابن التجاني، ت (717هـ-1317م، رحلة التجاني، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981م.

2-ابن الخطيب، (ت776هـ-1369م)، نفاضة الجراد في علالة الاغتراب، تح: سعدية فاغية، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ط1، 1409هـ-1989م، ط1، ج3.

3-ابن الزيات أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار العباس السبتي، تح: أحمد توفيق ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الرباط، المغرب، ط2، 1997.

4-ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تح: محمد ناصر ،وإبراهيم بخار، مطبوعات الجميلة الجزائرية، 1985.

5-ابن المنظور (ق:360هـ, ت:711م)، لسان العرب تحقيق: عبد الله عبد الكبير وزملائه، دار المعرفة، ج(2)، ص1245، مادة الخلق .

6-ابن الوازن الزياني، وصف إفريقيا، عبد الرحمان حميد، التنفيذ الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإشراف الطباعي: محمد عبد المجيد.

7-ابن خلدون يحي، (ت 780هـ-1378م)، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تر: بوزياني الدراجي، دار الأمل للدراسات والنشر، 2007.

8-ابن خلدون، (ت 372هـ-808هـ/1332-1406م)، العبر، تحقيق: سهيل زكارة، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت،2001 ج7.

9-ابن خلدون، البداوة والحضارة، (نصوص من مقدمة ابن خلدون)، تح: محمد العبيدة المنتدى الإسلامي، لندن، بريطانيا، دط، 1413هـ-1993م)

10-ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، ج1، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1400هـ/1980م.

11-ابن رشد الحفيد، بداية المجتهد ونهاية المقدمة، تح: عبد الله البغدادي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة ، ط1، 1995 .

12-ابن صعد الأنصاري التلمساني، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، تح: يحي بوعزيز، منشورات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2002.

13-ابن عذارى المراكشي، (ت 712هـ-1300م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: قسم الموحدين، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون ، الدار البيضاء، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1406هـ-1985م.

14-ابن قنفذ، ت(810هـ- 1408م)،سلسلة الرحلات(2)زياراته(1) تر: محمد الفاسي وزملائه، منشورات المركز الجامعي للبحث للعلمي.

15-ابن مرزوق ، ابو عبد الله محمد التلمساني الخطيب ، (ت 489هـ -1374م) : المناقب المرزوقية ، دره تح : سلوى الزهراوي ، ط1 : مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء ، 2008 .

16-ابن مرزوق التلمساني، أبي عبد الله محمد(ت781هـ/1379م)، المناقب المرزوقية، تح: سلوى الزاهري، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، ص 2008م.

17-ابن مريم، محمد بن محمد الملقب التلمساني/ق11هـ/17م، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق: محمد بن أبي شنب للجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1986.

18-أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني (ت714هـ_1314م)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق:رابح بونار الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1917.

19-أبو العباس المراكشي، الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، راجعه عبد الوهاب ابن منظور، ج1، المطبعة الملكية، الرباط، صدر بين سنتي 1993 و 1998م.

20-أبو حامد الغزالي، ت(505هـ .1111م) إحياء علوم الدين، دار المعرفة بيروت، لبنان، ج4.

21-أبو محمد بن عيسى بن سورة ، ت (279هـ -892)، الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي ود ت وإبراهيم عطره عوضي ج4، ط1.

22-أبي داود السجستاني،(202هـ_275هـ)سنن ابن داود، إعداد عزت الدعاس، دار الحديث ،ط1، ج4.

23-البرزلي،(ت 841هـ-1437م)، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام،تر: محمد الحبيب الهيلة، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ج3.

24-البلسني محمد العبدري ، ت(725هـ _1325)المرحلة المغربية، ت: سعيد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، بونة-الجزائر،1428هـ/2007م،ط1.

25-بن أبي زرع علي الفاسي (ت 762هـ-1325م)،الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس، دار المنصور للطباعة الورقية، الرباط، 1972.

26-التنبكتي أحمد بابا(1036هـ/1627م) نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم: عبد الحميد عبد المراء، ط1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 1989م، ط1، ج2.

27-الجرجاني علي محمد بن علي، كتاب التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار النشر الريان للتراث ، ط1، 1405هـ، ج1، ت (816هـ /1413م) .

28-السلاوي شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري،ت (1315هـ_1879م)، الاستقصاء في أخبار المغرب،تر:جعفر الناصري ومحمد ناصر، دار الكتاب،الدار البيضاء، المغرب، 1954،ج3.

29-الطرطوشي أبو بكر محمد بن الوليد(ت 520هـ - 1122م) ، كتاب الحوادث والبدع ، تع على بن حسين على عبد الحميد ، دار ابن منظور الجسور المعلقة العربية ،ط1 ، 1990.

30-عبد العزيز فيلاني، تلمسان في العهد الزياني، موقع للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2007م ،ج1.

31-عثمان بن بحر الجاحظ (255هـ/868م)، تهذيب الأخلاق، قرأه وعلق عليه أبو حذيفة إبراهيم بن محمد، دار الصحابة للتراث، ط1، 1310هـ-1979.

32-علي بن أبي الفاسي، ت1315هـ، الذخيرة السنة في الدولة المرينية، تحقيق: محمد بن أبي رشيد، الجزائر، 1920.

33-العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمطار، ممالك اليمن والغرب الإسلامي وقبائل العرب، تح: حمزة أحمد عباس، دار الكتب الوطنية، الإمارات، 2003.

34-المارمول كربخال ت (ق10هـ -16م، إفريقية، الرباط: دار النشر المعرفة ت: محمد حجي وزملائه ،ج1.

35-المازوني أبي زكريا ت (883هـ -1429م)، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تح: مختار حساني، دار الكتاب العربي، الجزائر، دط، 2009م.

36-المازوني، أبو زكريا يحي بن موسى المغيلي(ت883هـ-1429م) ، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تح: مختار حساني، دار الكتاب العربي، الجزائر، دط، 2009، ج1.

37-محمد ناصر الدين الألباني، ت(1420هـ_1990م)، صحيح سنن الترمذي، المكتب الإسلام، بيروت، لبنان، ط1408،1، ج4.

38-المقري أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1997،ج1.

موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان، كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك، مطبع الدولة، تونس، 1679م.

39-النميري ابن الحاج ابراهيم بن عبد الله الغرناطي (ت بعد 774 هـ -1372 م) ، فيض العباب افاضة قباح الاداب في الحركة السعيرة الى قسنطينة و الذاب ، تح : محمد بن شقون ، دار الغرب الاسلامي ، ط1 ، بيروت ، 1990 .

40-هناء بن السري الكوفي، ت(243هـ)حقيقة، عبد الرحمان بن عبد الجبار الضريوائي، دار الخليفة للكتاب الإسلامي ، ط1، ج2.

41-الوزان الحسن بن محمد ليون الإفريقي (ت 957هـ _1559م)، وصف إفريقيا، ترجمة : محمد حجي ومحمد الأخضر، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1963

42-الونشريسي، أحمد بن يحيى التلمساني ت:(914هـ_1508)المعيار المغرب والجامع المغرب فتاوي علماء إفريقية والأندلس المغرب،ت ح: محمد الحجي وآخرون، دار المغرب الإسلامي،بيروت، لبنان، (د،ت)، ج 7.

المراجع باللغة العربية:

1-إبراهيم القادري بوتشيش، حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في المغرب الإسلامي، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2006.

2-ابراهيم بوتشيش القادري، مباحث في تاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين . دار الطليعة للنشر والطباعة ، بيروت ، 2000

3-ابن الحجاج التلمساني المغربي ، شموس الانور و كنوز الاسرار ، دار الجيل ، بيروت ، د-ط، د-ت .

4-ابن قنفذ الفارسية في مبادئ الدولة الحفصي ، تج : محمد الشاذلي و عبد الحميد التركي ، الدار التونسية للنشر ، تونس 1968 م .

5-أبو القاسم بن احمد البلوي البرزلي ، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا المعنيين و الأحكام تقديم و تحقيق ، محمد الحسين الهبلة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، ج 6 ، 2002 .

6-باسم محمد أبو عليان، الانحراف الاجتماعي والجريمة، علم اجتماع الجريمة، جامعة الأقصى، الطبعة الثالثة ، 2016

7-حميد تميتلو، الحرب والمجتمع خلال العصر المريني، مؤسسة الملك سيد عبد العزيز،الدار البيضاء، المغرب، 2010.

8-دومنيك فاليرين، بجاية ميناء مغاربي،(1067-1510)، ترجمة : علاوة عمار، (ج-قسنطينة) ، المجلس الأعلى للغة العربية ، 2014، ج2 .

9-عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، موقع للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2007م ،ج1.

10-عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال ق السادس عشر،دار الشروق، مكتبة المهتدين الإسلامية.

11-عصام الدين عبد الرؤوف الفقهي تاريخ المغرب والأندلس، دط، مكتبة النهضة الشرق، القاهرة

12-محمد المعراوي: الأزمات الطبيعية وانعكاسها على الدولة والمجتمع ضمن الموحدين وأزمات المجتمع، ط 1، حيدر للنشر ، الرباط، المغرب، 2006.

13-محمد عاطف غيث، المشاكل الاجتماعية والسلوك الانحرافي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية،1988

14-محمد موسى الشريف ، الترف وأثره في الدعاة والصالحين،دار الأندلس الخضراء،المملكة العربية السعودية، جدة، طبعة 1425هـ- 2004م.

15-مختار حساني، تاريخ الزيانية ، الأحوال الاقتصادية والثقافية، منشورات الحضارة الجزائرية، د ط، 2009.

16-

17-يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بيني عين الواد، تحقيق: ألفا بيبيل، الجزائر، مطبعة فونتانا، 1328هـ-1910م، ج2.

ثالثا- المجلات

العقباني ابي عبد الله محمد ابن احمد بن احمد بن بلقاسم (ق871 هـ 1467 م) تحفة الناظر و غنية الذاكرة في حفظ الشعائر و تغيير المناكر ، تح : علي الشنوسي ، مستخرج من مجلة الدراسات الشرقية، دمشق، سوريا، 1967 .

رابعا-الأطروحات والرسائل الجامعية

1-بونابي، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرن الثامن والتاسع، الجزئين 14-15 الملادين، أطروحة دكتوراه في العلوم في التاريخ الإسلامي للوسيط، إشراف عبد العزيز فيلالي، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 1429-1430هـ/ 2008-2009م.

2-محمد دحماني : حكايات كرامات منطقة الشلف ، رسالة ماجستير ، مرقونة ، قسم اللغة العربية وادابها ، جامعة بن يوسف خدة الجزائر ، 2005 -2006 .

3-نوري سلمي، اللصوصية في المغرب الأوسط ق (725هـ - 1325م)، مذكرة ماستر، جامعة محمد باغين، سطيف2، 2015.

4-نشيدة معوش، الاماء في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط ، مذكرة ماستر ، جامعة محمد لمين دباغين ، سطيف ، 2016 .

خامسا-الموسوعات والمعاجم:

1-إبراهيم مصطفى احمد الزيان، معجم الوسيط ، تحقيق معجم اللغة العربية.

2-بلعربي خالد، المجاعات و الأوبئة بتلمسان في العهد الزياني (698هـ-1299 /845 1442م)ضمن دراية كان التاريخ، ع 4كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، 2009.

3-حسران مسعود، الرائد معجم لغوي عصري، مفرداتها وفقا لحروفها الأولى، طبعة جديدة، دار العلم للملايين، ص 136.ت/1(ابريل 1931).

4-عبد الهادي الجوهري، قاموس علم الاجتماع، القاهرة، مكتبة النهضة المشرق، 1973.

5-الفيروز آبادي مجد الدين بن يعقوب، قاموس المحيط تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، 1993، مادة الخلق .

6-مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، مصر، طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأموية، بدون طبعة،1993

فهرس المحتويات

إهداء

شكر وعرفان

مقدمة.....أ-ب-ج

الفصل التمهيدي: مفهوم الانحراف الأخلاقي

1-تعريف الانحراف حسب المعاجم اللغوية.....10

أ-لغة.....10

ب-اصطلاحا.....10-11

ج-مصطلح الانحراف في المدرسة الفقهية.....11

2- تعريف الأخلاق.....12

أ-لغة.....12

ب-اصطلاحا.....12-13

ج-الأخلاق في القران والسنة.....13-15

الفصل الأول: أسباب الانحراف الأخلاقي في المغرب الأوسط

أ-الأزمات السياسية (حروب والفتن).....17-19

ب-النظام الاقتصادي (الاحتكار والغلاء)واثره في الانحراف الأخلاقي 20-23

ج- الكوارث الطبيعية والمجاعات (الجراد ,الجفاف ,الفيضانات , الرياح).....23-29

د- الترف والبذخ ودورها في نشر الآفات.....29-31

الفصل الثاني :نماذج عن الانحرافات الأخلاقية في المغرب الوسيط

تمهيد.....33

1-الزنا.....34-36

2-البدع.....36-37

3-السحر والكهانة.....37-40

4-التبرك بالقبور وكرامات الأولياء.....40-41

5-السرقة.....41-43

6-التسول.....43-44

7-الخمر.....45

الفصل الثالث: جهود الإصلاح

تمهيد.....48

1-دور السلطة في مواجهة الانحراف.....48

أ-إنشاء الحسبة لمراقبة الأسواق.....49

ب-اتخاذ خطة الشرطة.....50-51

ج-مساعدة السلاطين في أوقات الحروب والكوارث والمجاعات.....51-53

د-مساعدة الفقراء من قبل السلطة.....53-54

2 –دور الفقهاء في مكافحة الانحراف.....54

أ–دور الفقهاء في مساعدة الفقراء.....54–55

ب–دور الفقهاء من الضرائب والمكوس.....56

ج–الأعمال التي قام بها الفقهاء أثناء الكوارث والشدائد.....56–58

د–جهود الفقهاء في إصلاح المجتمع.....58–59

3–دور الأولياء في محاربة الانحراف.....59

أ–تقديم الأولياء مساعدات للفقراء.....60

ب–دور الأولياء في أوقات الكوارث والشدائد.....61–62

ج–دور الأولياء في إصلاح المجتمع.....62–64

خاتمة.....66–67

قائمة البيبلوغرافيا.....69–75

فهرس المحتويات

ملخص باللغة العربية والإنجليزية

فهرس الأعلام

الاسم	الصفحة
أحمد الخباب	ص36
أحمد العماري	ص54
أحمد بن الحسن	ص53
أحمد بن قاسم العقادري	ص56
ابن قنفذ	ص28، 41، 42
ابن زرع الفاسي	ص31، 22، 25
ابن الحاج	ص35
ابن مرزوق	ص36 ، 40، 43 ، 55
ابن خلدون	ص19 ،20، 28 ، 41 ، 46، 61
ابن خطيب	ص26
أبي مدين	ص42، 61
أبو الحسن الحرالي	ص40
أبو عبد الله التلمساني	ص52
أبو حمو موسي الزياني	ص: 37، 50، 51
أبو حمو موسي الأول	ص49
حسن الوزان	ص30 ، 36
العبدري	ص27
العقباني	ص: 33، 37
عنان المريني	ص18
الونشريسي	ص: 33، 34، 38 ، 39 ، 47، 57
يوسف بن يعقوب المريني	ص18

ملخص البحث:

إن دراستنا للانحراف الأخلاقي في المغرب الوسيط من القرن السادس إلى القرن العاشر هجري (16-12م) ،عكست لنا مدي صدي وتفاعل الانحرافات من إفراز سلوكات أو التمثيلات الذهنية للإنسان الوسطي، وتعددت الأسباب المؤدية إلى الانحراف التي تنوعت من سياسي ،اقتصادي ،كوارث طبيعية،تأثر بيها كل من الفقير والغني على حد سواء ونتج عنها انخفاض محسوس لمستوى المعيشي ومع ما صاحبه من ارتفاع في قيمة الأسعار وكل هذا ادي إلى حدوث حدثا اجتماعيا وخيمة على مجتمع المغربي مثل التسول والسرقة والخمر وأفرزت ظواهر دينية تمثلت في التقرب من الأولياء ومقدساتهم وزيارة القبور، وعلى هذا ظهرت جهود الإصلاح من قبل السلطة والفقهاء والأولياء حيث اعتبروا شكل من أشكال التكيف مع الأزمات الاجتماعية وأحد البدائل المتبعة لمواجهة الأزمات والتصدي للآفات الأخلاقية.

Searchsummary:

Our study of moral deviation in middle Moroccofrom the 6th to the 10th century AH (16-12 AD) reflected the extent of the resonating and interaction of deviationsfrom the secretion of behaviors or mental representations of the middle man, and the multiplicity of causes leading to deviationthatvariedfromPolitical, economic, naturaldisasters, affected by both the poor and the richalike and resulted in a significantreduction in the standard of living and with the accompanyingrise in the value of prices and all thisled to a social eventsevere for Moroccan society such as begging, theft and alcohol and producedReligiousphenomenaconsisted of approaching the saints and theirholy places and visiting the graves, and thus the efforts of reformweremanifested by the authority, jurists and saints, wheretheyconsidered a form of adaptation to social crises and one of the alternatives used to face crises and address moral ills.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم: التاريخ

المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 28 جويلية 2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها

تصريح شرفي

خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز البحث

أنا الممضي أدناه،

السيد(ة): حسين فتيحة

الصفة: طالب، أستاذ باحث، باحث دائم: طالبة

الحامل (ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 700933

والصادرة بتاريخ: 2014-08-17

عن دائرة: المنصورة

المسجل (ة) بكلية: العلوم الإنسانية والإسلامية قسم: التاريخ

والمكلف (ة) بإنجاز أعمال بحث(مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، أطروحة دكتوراه)، عنوانها:
الهجرات القبائل العربية في المغرب الأوسط (816-910هـ) مقاربة تاريخية

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

التاريخ:

إمضاء المعني

التصديق على التوقيع أو البصمة
السيد(ة) حسين فتيحة
700933
2014/08/17